

# الدولة العميقة

و دورها في نشوء و انهيار دولة  
المدينة المنورة ، و الأمبراطوريتين  
الأموية و العباسية.

مروان بن الحكم أول من أسس الدولة العميقة  
في الإسلام. وأوصل نفسه بها إلى الخلافة.

## النساء والدولة العميقة في الإسلام

- الخيزران أم الرشيد أسست لحكم الجواري في بغداد.
- زبيدة زوجة الرشيد تتخير لأبنها الأمين الجواري الغلاميات.
- العباسة أخت الرشيد تسببت في أكبر مذبحة لرجال الدولة في عهد.
- القهرمانه ثُمّل تحكم الإمبراطورية العباسية. فحولت قصر  
الخلافة إلى قصر سئ السمعة. وضاعت القدس و ثغور الشام.

بقلم:

مصطفى حامد

يتوافق نشر هذا الكتيب مع ذكرى مأساة كربلاء. فتوجب علينا توجيه الشكر والتقدير للسيدة زينب بنت علي التي حملت أعباء المأساة كربا وبلاء. حتى حفظت للمسلمين أحد الفواصل الحادة في تاريخهم.

مقدمة:

## زينب بنت علي بن أبي طالب حفيدة الرسول

### امرأة ترجح أمة.

قاتلت لأجل الإسلام، وحتى يتبقى لدى المسلمين تاريخ، ولولا شجاعتها ما عرفنا عن كربلاء سوى انها حادث تاريخي لم يثبت ولا يترتب عليه أحكام شرعية. وأنه مجرد قصة اخترعها المبتدعة ممن يكرهون الخلفاء معاوية وابنه يزيد. وأن العلماء المحققين من أمثال ابن تيمية وابن كثير ذكروا الحادث ولم يستنكروه. كما فعلوا مع واقعة الحرة في المدينة.

الحوراء الإنسانية الشابة الهاشمية التي فقدت لتوها شقيقها وآل بيته وهي تجازف بحياتها تتحدى وتصيح بالحق أمام الجمهور وفي وجه أعتى طغاة العصر وجميع عصور المسلمين: الخليفة يزيد وعبيد الله بن زياد والى الكوفة الأموي.. ابنة علي كانت جديرة بالموقف وبطولاته. وسجلت كافة تفاصيله التي يرفضها المحققون المزيّفون، الذين دينهم الطغيان.

شعب مصر كان له موقف آخر تجاه زينب وشقيقها سيد الشهداء فاحتوتهم قلوب المصريين الذين قضوا تاريخهم في عذابات الظلم ويعرفون مرارة طعمه فاحتضنوا الشهيد وشقيقته في أعماق القلوب. إلى جانب شهداء مصر من ضحايا الطغيان، ومعارك مقاومتهم للظالمين. وعلى مسافة غير بعيدة عن مقامهما الطاهر ودّع المصريون شهيدهم سيدي المتولى الذي شنقه الهمج الأتراك وتركوه ثلاثة أيام معلقا على باب زويلة ومن حوله يبكي المصريون وقلوبهم تتمزق على ابنهم البطل المعلق. قريبا من ذلك فعل الأمويون الهمج تاركين جثة حفيد رسول الله مُلقاة على رمال الصحراء الملتهبة مقطوع الرأس عارى البدن. وهكذا هي الإمبراطوريات البيزنطية الإسلامية. أموية كانت أو عثمانية. لم يقتلوهم فقط بل أخذوا يجبرون الناس علي سبهم وكراهيتهم. الشافعي إمام فقهاء مصر وحبیب أهلها تصدى للأغبياء الذين شنعوا عليه لعدم معاداته لأهل البيت فاتهموه بالرفض فقال شعراً، هذا قليل منه :

يا آل بيت رسول الله حبكم  
فرض من الله في القرآن أنزله  
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم  
من لا يصل عليكم لا صلاة له  
لئن كان ذنبي حب آل محمد  
فذلك ذنب لست عنه أتوب  
إن كان رفضا حب آل محمد  
فليشهد الثقلان أني رافضي

وبعد سبعة قرون يجيب عليه بالعامية المصرية أحد شعراء مصر الأحرار من أعماق سجون العسكر (هو الشاعر فؤاد حداد، في ديوان المسحراتي):

الشوق بيغلب	يا إمام يا شافعي
يام العجايز "1"	أنا لسه وضعي "2"
وانا اللي شرعي	محبة شرعي "3"
عشرين هدية	لغورية ربي "4"
بناء كلامي	الشهامة طبعي
يا أحلى كلمة	وعاها سمعي "5"

ثم يتسلل الشاعر على أطراف الحواس الشعرية ويمضى من المحبة المصرية المختزنة لآل البيت منتقلا إلى محبة سيدى المتولي شهيد فقراء مصر وسلطان البلد وابن البلد في نفس الوقت. وهذا يحتاج إلى وقفة أخرى في موضع آخر).

"1" أم العجايز - أم العاجزين والضعفاء - أحد الألقاب التي يطلقها فقراء مصر على السيدة زينب (مثل أم هاشم، ونور العيون، والسيدة المنجدة). إذ يعتبرونها الأم التي تحيطهم بالعطف. ويشعرون إلى جوارها بالأمن والسكينة.

"2" أنا لسه وضعي : مازالت على حالى في محبتكم و معاناتى من الظلم.

"3" محبة شرعي : محبة يرضها الله

"4" حي الغورية نسبة إلى السلطان الغوري عم السلطان طومان باى، الشهيد (المتولي).

"5" أحلى كلمة يقصد هنا إسم "زينب" . ولا يريد أن يفصح أكثر مكتفيا بلقب أم العجايز المحبب لدى الفقراء ومهيضي الجناح.

أما الشاعر العراقي أحمد مطر فتكلم على لسان كل إنسان يعاني الظلم ويحلم بالعدل. ولا يرى الدين والعدل إلا شيئا واحدا. فما ينافى الأول ينافى الآخر حتما. فالبرهان على صحة الدين هو الحكم بالعدل، وماسوى ذلك نفاق مدجل.

## هات العدل

"للشاعر العراقي أحمد مطر"

أدع إلي دينك بالحسنى  
ودع الباقي للديان .  
أما الحكم .. فأمرُ ثان.  
أمرُ بالعدل تُعَادِلُهُ  
لا بالعمّةِ والفُطْطَانُ .  
تُوقِنُ أم لا تُوقِن .. لا يعنيني  
مَنْ يُدْرِينِي  
أن لسانك يلهجُ بِاسْمِ الله  
وقلبك يرقصُ للشيطانُ !  
أوجزُ لي مَضمونَ العَدْل  
ولا تفلقني بالعُنوانُ .  
\*\*

لن تقوي عندي بالتقوى  
ويقينك عندي بهُتَانُ  
إن لم يَعْتَدِلِ الميزانُ  
شعرةٌ ظُلمَ تَنْسِفُ وزنك  
لو أن صلّاتك أطنانُ !  
الإيمانُ الظالمُ كفرُ  
والكُفرُ العادلُ إيمانُ !  
هذا ما كتب الرحمانُ  
\*\*

( قال فلان عن علان  
عن فلتان عن علتان )  
أقوال فيها قولان .  
لا تعدل ميزان العدل  
ولا تمنحني الاطمئنان  
دع أقوال الأمس وقل لي ..  
ماذا تفعل أنت الآن ؟  
هل تفتح للدين الدنيا..  
أم تحبسه في دكان ؟ !  
هل تعطينا بعض الجنة  
أم تحجزها للإخوان ؟!  
قل لي الآن.  
فعلى مختلف الأزمان

والطغيان  
يذبحني باسم الرحمان فداء للأوثان  
هذا يذبح بالتوراة  
وذلك يذبح بالإنجيل  
وهذا يذبح بالقرآن !  
لا ذنب لكل الأديان  
الذنب بطبع الإنسان  
وإنك يا هذا إنسان .  
\*\*

كن ما شئت ..  
رئيساً ،  
ملكاً ،  
خاناً ،  
شيخاً ،  
دهقاناً ،  
كن أي كان  
من جنس الإنس أو الجان  
لا أسأل عن شكل السلطة  
أسأل عن عدل السلطان  
هات العدل ..  
وكن طرزان !

## الفصل الأول

### مقدمة الفصل الأول

## الدولة العميقة في الإمبراطوريات الإسلامية

### 1: الفكرة من إنشاء للدولة :

تنشأ كل دولة علي أساس معتقد أو فكرة دينية أو مذهبية أو عرقية. أو كضرورة للبقاء وتنظيم العيش الجماعي، أو الدفاع المشترك ضد اخطار خارجية كبرى.

هذا الاعتقاد أو الفكرة تظل ثابتة طوال عمر الدولة وتطورها ولا يتم تعديلها الا ببطء شديد وحذر لأن أي خطأ قد يؤدي لإنهيار تماما كما يحدث عندما يجري تعديل الخطط الإستراتيجية أثناء تنفيذها وقد يؤدي ذلك إلي الأنهيار الكامل ولكن التعديلات البسيطة قد تكون ضرورية ولكن علي حذر .

2: القوة التحتية للدولة (الدولة العميقة) وعلاقتها بالقوة الظاهرة للأجهزة الرسمية .

لا تكاد توجد دولة ذات قيمة الا وهي تمتلك قوة تحتية أو ما يصطلح عليه الدولة العميقة. تمتلك زمام الأسرار العليا للدولة والتخطيط الأجمالي الأساسي ووضع السياسات كل شيء من الحرب إلي الاقتصاد والثقافة بما فيها المعتقدات الدينية والمعلومات العامة.

والدول العميقة لها أجهزتها الخاصة وقد تستعين بشكل غير معلن بأجهزة الدولة العلنية الرسمية حسب الضرورة ولا يعني ذلك ان الدولة العميقة هي مجرد جهاز إستخبارات ضخمة.

وقد يكون كما في الولايات المتحدة تحالف بين قوة إقتصادية وتنفيذية كبرى مثل البنوك الدولية وشركات عابرة القارات وشركات تصنيع السلاح والدواء وشركات الأبحاث والتقنية عالية التطور إلي آخره..

إيذاء هذا التحالف الكبير قد يمتلك كل طرف فيه جهاز معلوماته الخاص والذي في مجموعة قد يشكل اخطبوطا إستخباريا غاية في الضخامة والخطورة.

3: نادرا ما يتكشف الدور الحقيقي للدور التي تلعبها الدولة العميقة أو مقدار القوة الخفية التي تمتلكها حتي بعد زوال الدولة الخفية تختفي تلك المعلومات بشكل متعمد ولكن تبقي تأثيرات الدولة الخفية فاعلة لفترة طويلة خاصة في مجالات الفكرة والإعتقاد والثقافة.

4 : الكثير من الأحداث الغامضة وغير المفهومة رغم ضخامة تأثيرها تعود إلي نشاط الدولة العميقة ، مثل عمليات الإغتيال التي قد تقود إلي نشاط الدولة العميقة، مثل عمليات الإغتيال التي قد تقود إلي فتن وحروب كبيرة أو صغيرة مثل إغتيال ولي عهد النمسا علي أيد متعصبين من العرب في يوغسلافيا فنشبت الحرب العالمية الأولى .

أو حادث 11 سبتمبر الذي أدي إلي إحتلال أفغانستان والعراق وظهور تنظيم داعش، والثورات العربية الملونة التي أسماها الغرب الربيع العربي.

أو بالمثل عملية إغتيال الخليفة الراشد عثمان ابن عفان(رضي) الذي أدي إلي اكبر إنقسام في تاريخ المسلمين.

وكما أغتيل الأمامين السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما بالسم والسيل، وإغتيل الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وكما إغتيل معاوية ابن يزيد ابن معاوية (مات فجأة) ابن ابي سفيان بسبب ميوله غير الأموية .

وكما أغتيل (مات بشكل مفاجئ وغامض كل من الخليفة العباسي المعتصم وولي العهد الأيوبي الأفضل علي ابن صلاح الدين) بسبب ميولهما إلي علي ابن أبي طالب التي تكشف في مراسلات شعرية بينهما كما ورد في هذا الكتاب.

ومثل اغتيال الملك العادل قلاوون ولي العهد علي يد أخيه الملك الأشرف .

تلك العمليات في معظمها لم تعلن تفاصيلها وحتى لم تعلن أنها عمليات إغتيال وبدت وكأنها عمليات موت مفاجئ.

من أمثلة الإغتيالات الشهيرة اغتيال مالك الأشتر الذي أرسله علي بن أبي طالب ليتولي حكم مصر وزوده بالنصائح الضرورية لإقامة حكم عادل ومنصف بين الناس تكون الغاية منه إرضاء الله ولكن الأمويين دسوا له السم وقتلوه قبل ان يدخل حدود مصر. وهناك ما لا يحصي من عمليات الاغتيال في العصور الحديثة التي قامت بها الأجهزة العميقة أو العلنية للدول.

## مخاطر الدولة العميقة

رغم فوائدها الجمة في بداية الأمر إلا أنها مع الوقت قد تتحول إلي خطر عظيم علي الدولة نفسها فتؤدي إلي سقوطها وتآكلها من الداخل.

ويكاد يكون من المستحيل مراقبة أو محاسبة الدولة العميقة أو التدخل في أعمالها.

فقد سقطت الدولة الأيوبية بسبب الجهاز السري والدولة العميقة الذي أنشأها الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي.

ساعد العادل في البداية علي إقامة الدولة وخاض معاركها المسلحة ولكن في النهاية تمكن من السيطرة علي الدولة. فكان معول لهدمها والسيطرة عليها لمصلحته ومصالحة أبنائه .

وسقطت الدولة العباسية عندما أقدم الخلفاء الإقوياء المغرورين علي هدم الجهاز السري للدولة العميقة وهدم الجهاز الذي ساعد علي إنشائها وخوض معاركها وتنظيم شئونها الإدارية والمالية. وكانت امبراطورية شاسعة الأرجاء وتمكنوا من إبادة الأمويين وردع العلويين. ولكن هارون الرشيد فتك بالأسرة البرمكية التي كانت عماد العمل الإداري وكانت أسرة مؤسسة للدولة وتم تصفيتهم لصالح الموظفين الإنتهازيين داخل قصر الخلافة وحاول الرشيد ومن تلاه ملئ الفراغ بواسطة الأتراك ولكنهم طمعوا في الحكم واستبدوا بالدولة بعد فترة من الوقت ورغم أن الرشيد مشهور بأنه قمة إزدهار الحكم العباسي الا أن الخلافة سقطت في أيدي مافيا نسائية تترأسها أمة الخيزران التي توجهت اليها كبار شخصيات الدولة وقادة الجيش ليأخذوا منها التوجيهات.

إلي أن أصبح قصر الخلافة تحت سطوة النسوان والعسكر الأتراك وتكون من هؤلاء جميعا الدولة العميقة العباسية وكانت دولة لم يصدر منها غير الضرر وتآكل الامبراطورية وتصدعها بالتدريج ونمو الحركات الثورية عليها كما سيمر علينا لاحقا .

وتوالى عمليات الانفصال وتكوين دول قوية تنافس دولة الخلافة .

مثل الخوارزميين وسط آسيا والفاطميين في مصر والشام والحجاز واليمن والسلاجقة الروم في الأناضول ثم الغزنويين الأتراك في أفغانستان .

عصر سيطرة النسوان علي دولة الخلافة أنتج ظاهرة الخليفة المقتدر وأولاده التي أنهت عمليا الدولة العباسية، واضاعت القدس وثغور الشام ونشرت الفتن وحركات الانفصال والثورات المسلحة متنوعة الدوافع والأعراق. وأوصلت التتار إلي بغداد وألصقت كل تلك الكوارث في شخص واحد اسمه ابن العلقمي لكونه شيعيا يعمل وزيرا لدي الخليفة. وتمسك جهاز الدعاية الملكي، بتلك الرواية حتي يخفي حقيقة أن المؤسسة التي أحدثت الانهيارات الكبرى في التاريخ الإسلامي منذ سقوط الخلافة الراشدة وحتى ظهور الخلافة العثمانية البيزنطية ، تلك المؤسسة مازالت قائمة وفاعلة حتي اليوم وليست من مصلحتها أن يفهم المسلمون حقائق التاريخ أو أن يكتشفوا الأسباب الحقيقية للكوارث، ويكفي إشغالهم بقصص فارغة وتأويلات باطلة للتاريخ وإخفاء ما يمكن إخفائه من حقائق وتشويه ما لا يمكن إخفائه .

## تحالف القوى المؤسسة للدولة

كما ذكرنا مجموعة القوى التي تتحالف لإقامة دولة تخدم مصالحها في منطقة ما ، في ظل مصالح مشتركة لتلك القوى ورؤية متقاربة أو موحدة من حيث المعتقدات والمبادئ .

تلك القوى بتركيبها الأساسية ينبغي المحافظة عليها وعدم تغييرها لأن محاولة تغيير القوى المكونة للدولة أثناء عمل الدولة وقيامها يكون أشبه بعملية تغيير محرك السيارة أثناء السباق .. تغيير تركيبة القوة المكونة للدولة خاصة بعد التأسيس قد يقود إلي الإنهيار..

كما حدث للعباسيين عندما ضربوا القوة المؤسسة لدولتهم في عهد هارون الرشيد .

وعندما تخلى الأمويون عن كثير من حلفائهم من قبائل العرب الذين ساعدوهم في البدايات الأولى ثورتهم علي الإسلام متحالفين مع حركات الردّة وعندما شعرت الدولة بقوة زائدة بعد القضاء علي الحسين وعبدالله بن الزبير والتوصل مع الجيران من روم بيزنطة إلي رؤية استراتيجية مريحة للطرفين والعتور عل نقاط مشتركة في الرؤية الاستراتيجية ومكانة الدين في العلاقات الدولية. فلم تعد أمية في حاجة إلي إنفاق مال كثر علي قبائل متعطلة في الصحراء . ورأت أمية ان تكتفي بقبائل الشام ومن خضعوا لها من قبائل العراق والحجاز. فتخلصت من بدو الردّة وأكتفوا بقوة ببني أمية كقوة ذات بأس وخبرة . ولكن عندما ظهرت ثورة بني العباس لم يعد ما لدى الأمويين من قوة كافي للسيطرة وإدارة دولة مترامية الأطراف وليست مجرد دولة داخل جزيرة العرب تشمل العراق والشام فقد وصلت إلي الأندلس وإلي حدود الصين .

فتبعثر بنو أمية وضاعوا في المحيط السكاني الجغرافي الجديد وأصبحوا مثل كوب من الماء بداخل قربه كبيرة. وتقدم العباسيون في ثورتهم وبدأوا من الأطراف الخارجية المتدمره وزحفوا من خراسان حتي استولوا علي بغداد.

عندما استولي العباسيون علي الخلافة اعتبروا أن العرب قوة غير موثوقة تحالفت مع الأمويين كقوة مؤسسة لإمبراطورية الأموية.

وكان ذلك صحيح في بداية الأمر وليس علي طول التاريخ الأموي كما ذكرنا ، ولكن العباسيين تمادوا في إضعاف العرب وتهميشهم . حتي تحول جزء منهم إلي أعداء للعباسيين ومتعاطفين مع الحركات الانفصالية التي قامت علي أطراف الامبراطورية العباسية .

أدى العداء للعرب إلي إضعاف العباسيين وإنهيار الامبراطورية العباسية في نهاية الأمر .

وما زال دور العرب هامشياً في إجمالي شئون العالم، حتى ألفوا ذلك التهميش وإكتفوا بالعمل كأبواق دعائية في أجهزة البطش والظلم العالمي باسم الإسلام.

أو تحولوا إلي "طبل خانة" إسلامية ضمن الحركة الماسونية الإسلامية الجديدة بقيادة تركيا .

## الفصل الثاني

### حقيقة واحدة وجيش كامل من الأكاذيب

الهدف من غزوة الخندق كان اقتحام المدينة المنورة بإشراك قريش وقبائل العرب الكبرى بالتعاون مع اليهود أنفسهم من داخل المدينة المنورة وتوجيه ضربة قاضية للرسول وأصحابه ودولتهم في المدينة والإنتهاء منها مرة واحدة إلي الأبد .

وحشدوا أكبر حشد شهدته جزيرة العرب وكان الموقف عصبياً للغاية سجلة القرآن الكريم في العديد من الآيات .

وظهرت في تلك الغزوة خيانة يهود المدينة لهذا طردهم منها الرسول صلى الله عليه وسلم وظهرت بعض بوادر النفاق بين سكان المدينة من ضعاف الأيمان ، كل ذلك سجلة القرآن الكريم كدروس وعبر لجميع المؤمنين إلي يوم القيامة. و بعد فتح مكة والعفو عن من كان بها من المشركين وقال لهم الرسول (صلي الله عليه وسلم) : أذهبوا فأنتم الطلقاء .تحول الكثير منهم إلي العمل ضد الإسلام سراً فزادت قوة المنافقين في جزيرة العرب، وتحول نشاطهم من المواجهة المباشرة إلي التآمر السري ضد الإسلام ودولته في المدينة المنورة .

عندما شعرت القبائل بقرب وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم) وإعتنق الكثير منهم آراء شبيهة بأراء زياد بن معاوية: (لعبت هاشم بالملك فلا مَلِكُ جاء ولا وحيُّ نزل) . أي أن الرسالة كانت خدعة للوصول إلي الملك.

فحاولوا الانقلاب علي المدينة المنورة وتدمير الدولة الإسلامية فيها. وأن تخترع كل قبيلة ديانة جديدة وتقيم مُلكاً لها . ونشبت حروب الردة في عهد أبوبكر الصديق عندما تولي الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهزمت القبائل المرتدة وسقطت أحلامها في إقامة ديانات وممالك جديدة في جزيرة العرب .

فعادوا مرة أخرى إلي التآمر الخفي ضد المدينة المنورة أي أن وجه نظر قريش وطلقاء الفتح من المنافقين هي التي أقتنع بها معظم أعداء الإسلام في جزيرة العرب وكانوا هم القوة الضاربة لبني أمية في بداية حركتهم للوثوب على دولة الخلافة .

وأخطر خطوة في التآمر والتي مازالت تشغل بال الباحثين والمفكرين الإسلاميين هي مأساة اغتيال الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في المدينة المنورة .

ونشوب الحرب بين المسلمين ورفع بني أمية راية والثأر لعثمان في مقابل علي بن طالب الذي أختاره المسلمون خليفة عليهم بعد عثمان والذي كان يريد إستقرار الأمور وتهدئة الدولة ثم محاكمة المتهمين وليس فتح باب الثأر بشكل فوضي قَبلي، فتتوسع العدوات وتمدت إلي عشرات السنين كما كان الأمر عليه في الجاهلية قبل الإسلام.

كانت خيوط المؤامرة التي أودت بالخليفة عثمان واضحة وكانت وقوع الجناه تحت طائلة العقوبة الشرعية محتمة. لهذا تمسك الأمويون بموضوع الثأر، وقرروا مقاومة الخليفة علي ابن أبو طالب بالقوة المسلحة لمنع المحاكمة والاستيلاء علي الخلافة وتحويلها إلي ملك متوارث. فكان الحُكم هي أول عروة تنفصم من عرى الإسلام كما أخبر بذلك الرسول صلي الله عليه وسلم.

كانت خيوط المؤامرة علي قتل عثمان تصل إلي بني أمية والحكم ابن أبي العاصي الذي طرده الرسول من المدينة المنورة بسبب سؤ خلقه ولكن عثمان أعاده في زمن خلافته وإستخدمه كاتباً خاصاً له .

وكما ذكرنا فإن الحُكم بن العاص كان وراء مؤامرة إشعال الثورة في المدينة ومنع الحوار للوفود التي جاءت إلي المدينة المدينة من مصر والكوفة والبصرة لمناقشة المشكلات التي طرأت علي الدولة نتيجة توسعها وتولي بعض الفاسدين الأمور .

نجح المعسكر المتربص للإنقضاض في تحويل الحوار إلي حرب أهلية فقطع الطريق علي عملية كانت ستغير مسار تاريخ الإسلام السياسي وهي أن تكون الطريق مفتوحة بين الرعية والخليفة للحوار والمناقشة وإختيار الحلول المناسبة للمشكلات التي تظهر أثناء تطور المجتمع والدولة.

وهذا يتعارض مع ما يريده بني أمية من احتكار السلطة والأموال وإستعباد الشعب (أنظر بيعة يزيد وكيف كان يشترط علي الناس أن يكونوا عبيداً له بعد أن جاء الإسلام ليقول للناس أن جميع البشر عبيداً لله وحده ولكن بني أمية بثورتهم المضادة بتحويل الناس عبيداً للحاكم الذي أسموه خليفة تبجحا علي مقام الرسول صلي الله عليه وسلم فلم يكن الرسول ليقبل أن يكون الناس عبيداً له بل ليجعل الناس عبيداً لله .

قلنا أن " الطريد" الحُكم بن أبي العاصي نجح في نهاية المطاف بأن يختطف الخلافة من بني أمية لصالح ذريته من نسل إبنه مروان .

تابعته مجموعة خلفاء من بني مروان إنتهت علي يدهم الخلافة الأموية علي أسوأ ما تكون النهاية .

فكل ما ارتكبو الأمويون من جرائم ضد (آل أحمد)، أبناء علي بن ابي طالب، أرتكبه ضدهم أبناء عمومتهم العباسيين بأضعاف مضاعفة .

فقتلوا وحرقوا وإنتهكوا ولم يتركوا من بني أمية الا النساء والأطفال ومن تمكن منهم من الهرب إلي الأندلس فكانت إبادة شبه شاملة .

فهذه أحد الطرق التي أرسها الخليفة يزيد للتحويل السياسي. وهو أسلوب الإبادة الشاملة للطرف المقابل. ولم يكن الأمر كذلك علي عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) فعندما جاء إلي المدينة صالح بين قبيلتي الأوس والخزرج وآخر بين المهاجرين والأنصار فتقاسموا لقمة الخبز والبيوت. عندما فتح الرسول (صلي الله عليه وسلم) مكة لم تحدث أي مجزرة ولا مطاردة بل عفو شامل. فاعلن أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن ولم تحدث تحقيقات ولا قتل جماعي ولا حتي عقوبات علي ما فعلوه من جرائم بحق المسلمين .

ولكن الهرقلية الأموية أرست مبدأ الإنتقام والإبادة الجماعية خاصة عند إنتقال السلطة. انتقاما ممن كانوا يساندون السلطة السابقة. وهكذا فعل الأيوبيون بالفاطميين في مصر، وفعل من بعدهم المماليك بالأيوبيين عندما تخلصوا من الحكم الأيوبي. ثم فعل ذلك العثمانيون بالمماليك في مصر عندما طردوهم من الحكم.

فاصل من المجازر والإبادات الجماعية بين عمليات انتقال السلطة من دولة إلى أخرى. وحتى من حاكم إلى آخر أو من شقيق إلى شقيقه .

وفي كل مرة تعرض الشعب المصري في مجازر وأبادات رهيبة ولنفس الفئات التي حددها الحكام منذ البداية ضد شعب مصر فقد استشهدوا أهل البلد الأصليين من مسلمين ومسيحيين وأيضا قبائل العرب التي ظلت علي تمسكها بالحرية و الشورى كمعيار لشرعية الحكم. فنالها ما نالهم .

أما عمليات الاغتيال التي أرساها الحكم الأموي بداية من الخليفة عثمان رضي الله عنه والحسن والحسين سبطي رسول الله. وغيرهم كثير فقد أصبح الإغتيال جزءا أساسيا من العمل السياسي في الدول الإسلامية وتعددت وسائله وكان انجحها السموم. حتي صار تولي السلطة عن طريق الإغتيال فن له تقاليد ثابتة وموروثة ومعترف بها قانونا . فمن يقتل الحاكم يتولى بدلا عنه مباشرة وكانه قد فاز في الانتخابات . إلا أن تحدث عملية أخذ بالثار فيضطرب النظام الذي لاينصح عادة إلا بحمام دم يعيد قانون الاغتيال احترامه وشرعيته التي قننتها كتب الفقه .!!

حتي أن أعوان السلطان السابق يكونون أول من يبايعون القاتل. وفي تاريخنا عجائب كثيرة مثل هذه .

وسياتى معنا في هذا الكتاب كيف تولي السلطان بيبرس أحد أهم من حكموا مصر الذي تولي الحكم بعد أن قتل صديقه السلطان قطز وعاد وبرفته فريق الأمراء القتلّة إلي خيمة السلطان و فيها كبار الأمراء وقادة الجيش. فسأله قائد الجيش من منكم قتله؟ . فقال بيبرس بهدؤ : أنا قتلته. فقال له القائد تفضل أجلس علي داست الحكم فجلس بيبرس وبايعه قائد الجيش وجميع من حضر المجلس. وهكذا ظلت تسير الأمور .

التآمر لتولي نظام الحكم يستلزم السيطرة علي الدولة العميقة بنفوذها وقدرتها لهذا ظهرت الدولة العميقة قبل الإنقلاب الأموي وبدأت نشأتها من مجلس الخليفة عثمان بواسطة أول مؤسس للدولة العميقة في الإسلام الحكّم ابن أبي العاصي .

وإذا سرنا في التاريخ قليلا حتى الدولة العباسية سنري عجائب تحاكي عجائب أساطير ألف ليلة وليلة التي كانت هي الأجواء الغالبة علي الدولة العباسية الغنية. سواء في فترة قوتها وأزدهارها أو فترة إنحطاطها وأفولها فقد ظهرت دولة عميقة قائمة علي الجواري والغلمان والخصيان ونساء القصر. وأشهر الشخصيات التي سوف نمر عليها هي شخصية القهرماننة تُملُ التي كانت أهم عوامل هدم الدولة العباسية .

سنمر عليها في الفقرات التالية ونري فداحة تأثير الفساد الأخلاقي والمالي والتستر علي جرائم الحكام بل وجعلها جزء من الدين تكفير من يحاول مجرد الإشارة إليها أو محاولة بحثها بعد قرون من وقوعها. فمعظم الدول في عصرنا الحالي تفرج عن أسرار الدولة بعد مرور عشرين أو خمسين عاما بعد أن يكون قد أنتهي أي احتمال سلمي من نشرها بعد أن تغيرت جميع الأحوال و الظروف.

أما في الأمة الإسلامية فيحظر البحث في خطايا الحكام القدماء خاصة إذا تترسوا زورا بلقب خليفة. لتحديد دوافعها ونتائجها التي لم تعد أسرارها فكتب التاريخ ومصادره تنوعت ويمكن الوصول إلي الكثير من المعلومات

التي كانت محجوبة في باطن المخطوطات القديمة المهملة عمدا لإخفاء حقائق سياسية لا يغيرها أحد ظنا أنها من الدين وبحثها جريمة تقترب من الكفر.

ولأن الذين يخافون من ظهور الحقائق هم من يحكمون حتى الآن بنفس الأساليب البالية والمنحطة التي ظلت تفتك بالأمة لقرون متتابعة .

ودعموا دفاعهم عن الباطل بجيوش من الأكاذيب. ومن يحاول كشف الحقائق يتهم فورا بالإبتداع والظعن في الإسلام والتشكيك في حكام المسلمين .

علي إعتبار أن يزيد وئملُ وسليم الأول وملوك الأيوبيون يمثلون الحكم في الإسلام .

لهذا وصلنا إلي ما نحن فيه من أنهيار ولا مخرج لنا الا بالتعامل مع حقائق التاريخ وأحكام الإسلام الصحيحة وليس الأحكام التي إبتدعها السلاطين وفقهائهم .

أن الحقيقة بسيطة واضحة ولكنها محمية بجيوش من الأكاذيب التاريخية والتزوير الديني والإرهاب الأمني والفكري.

## الفصل الثالث

### دور النساء في الدولة العميقة في الإسلام

#### 1- الحكم الأموي وتدخل النساء

لم يظهر للنساء شأن ملموس في أمور الدولة الأموية بإستثناء واحد كان عند الخليفة يزيد ابن مروان من 71هـ الي 105 هـ.الذي تولي الخلافة بعد وفاة عمر ابن عبد العزيز 101هـ .

يقول عنه المؤرخون: وكانهم يختلقون الأعذار لإنحرافه الأخلاقي فيقولون انه أبيض الجسم مدور الوجه ومليح "!!!" فيه مروة كاملة مع إفراط إلي الأنصراف إلي اللذات .

مات في إربد أو الجولان بعد وفاة جارية له تدعي حبابة وذلك بعد أيام قليلة من موتها حزنا عليها .

وكان لحبابة أثر ونفوذ في أحكام التولية في عهده (ص113 - ج 1 السلوك) .

وقام من بعده أبنه يزيد ويعرف بيزيد الناقص وولي لمدة سنة وثلاثة أشهر وفي أيامه اضطربت الدولة .

**ملاحظة :** سوف نجد أن تلك قاعدة تأتي بعد تحكم النساء في أمور المملكة أن يأتي حاكم ضعيف يتولى العهد ثم يفقد السيطرة علي الأمور كونه ضعيفا وربيب نساء وتضطرب الدولة في أيامه. فتشدد قبضة الدولة العميقة حتى تظهر الخارجية التي تدعمها وتعقد معها الصفقات.

أوضح مثال علي ذلك نراه في فترة الحكم العباسي .

## 2- الدولة العباسية وتدخل النساء

### الخيزران أم الرشيد أسست لحكم الجواري في الدولة العباسية

من العجيب ان يكون مؤسس تلك الآفة هي الخيزران أم هارون الرشيد وزوجة الخليفة المهدي .

الخليفة الهادي (144 - 170هـ )

[ قتلته أمه "الخيزران" أجلست فوقه جواري من الوزن الثقيل]

الخليفة العباسي الرابع: الهادي بالله أبو محمد موسي وحكم سنتين وثلاثة أشهر وكان جبارا وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة ، والأعمدة المشهرة ، والقسي الموتورة فاقتدى به عماله وكثر السلاح في محضره .(ص117- ج1 السلوك).

**ملاحظة:** كانت زوجته الخيزران لها نفوذ كبير في إدارة الدولة و تزيد ذلك بعد موته و تولي ابنه المهدي الذي قتلته عندما حاول معارضتها ثم هارون الذي سلم لها زمام أمره بلا معارضة.

هو موسي الهادي بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور ولد في الري (قرب طهران حاليا) تولي الحكم بعد وفاة أبيه المهدي سنة 269هـ .

وكان غائبا بجرجان فأقام أخوه هارون الرشيد ببيعته واستبدت أمه الخيزران بالحكم. وأراد الهادي خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعله لأبنه جعفر فلم توافق أمه على ذلك ، فزجرها فأمرت أمه جواريتها أن يقتلنه، فخنقنه.

**تعليق:** وكيف يتسق ذلك مع وصفه بأنه كان جبارا؟. مصدر تاريخي آخر قال ان الأم قتلت ابنها عندما كان مريضا فأرسلت له بعض جواريتها فكتموا أنفاسه بوسادة وجلسوا فوقه حتى مات. ولنا أن نتخيل أوزانهن القاتلة. "إن في ذلك لعبرة".

**تعليق:** كان ذلك قبل سنين طويلة من قيام الجواري بقتل ملكة مصر المملوكية شجر الدر بالقباقيب ، وهي التي قتلت زوجها السلطان أيك بأيدي فرقة اغتيال من مماليكها كما سيأتي ذكره في موضع لاحق. ودُفن الخليفة الهادي في بستانه وكانت مدة خلافته سنة وثلث أشهر.

ولكن الخيزران بعملها الشنيع أسست لتدخل النساء بشكل غير عادي في شؤون الحكم ومسار دولة الخلافة .

### العباسية أخت الرشيد وتدخل كارثي في شؤون دولة الخلافة

ظهرت من بعدها العباسية أخت الرشيد التي رتبت بمهاره فائقة بعملية الإطاحة بعائلة الرامكة الذين كانوا عماد إدارة الدولة لأخيها الرشيد بل وتأسيس الدولة من بدايتها .

كما سيأتي ذكره أوقعت بالبرامكة وقتلهم الرشيد وقتلها أيضا وقتل أولادها وقتل جميع من قتلوهم وكانت مآسة من طراز الأساطير الأغريقية .

وأظهر الرشيد شذوذا غير عادي في الإنتقال من مشاعر اللطف والرحمة إلي مشاعر القتل والتمثيل بالجثث حتي بأقرب الأقربين اليه بما يكشف عن شخصية مريضة وغير سوية علي عكس ما هو شائع في كتب التاريخ الرسمي.

تولي الفضل ابن الربيع حاجب هارون الرشيد زمام الأمور في الدولة وكان من الد أعداء البرامكة ولم يدخر وسعا للوشاية بهم وأثارة سخط الرشيد عليهم .

ومع ذل لم يتمتع الفضل ابن الربيع بسطان يذكر حيث كانت الخيزران أم الرشيد هي صاحبة الأمر والنهي في الدولة وتعمل علي أبعاده من القصر خوفاً من مشياته وكان الفضل ابن الربيع أخذ يدق علي وتر حساس هيج الرشيد علي البرامكة حسب قول المقرئزي وأذاع أنهم ملاحدة وثنيون ويحنون الي دين أجدادهم ويسعون إلي الوصول إلي الخلافة .

### القهرماننة تُمثل تحكّم الأمبراطورية العباسية

الخليفة المقتدر كان تربية القهرماننة ثمل التي كانت تدير أمور الجوارى والغلمان والخصيان للخدمة في قصر الخلافة العباسية فجعلته قصر المجون والتأمر وليس لحكم أمة و امبراطورية ذات رسالة وتواجه تحديات جمّة.

تولي المقتدر الحكم وعمرة ثلاث عشر سنة ولم يبلغ الحلم ، وهو أول من تولي الخلافة من الصبيان وغلبت علي أمره النساء والخصيان. فأكثر من قتل الوزراء و تغييرهم فإضطربت عليه الأمور فلم يقم غير أربعة أشهر وخلع بعبد الله أبن المعتز ثم قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة وأعيد المقتدر.

وأثبت ذلك قوة نفوذ القهرماننة ثمل وقوة الدولة العميقة التي يبدو أنها كانت تديرها كما تدير دولة الخلافة التي تسيطر علي خليفتها الطفل المراهق. وأثبتت الأحداث التالية تمسك ثمل والدولة العميقة بالخليفة المقتدر وأولاه فقد خلع المقتدر وأعيد عدة مرات رغم ضعفة وقلة حيلته فكانت ثمل ودولتها السرية هما الحماية لإستمراريته ومن بعده أولاده. وإتضح من الأحداث التالية الثمن الباهظ الذي دفعته دولة الخلافة مقابل ذلك حيث ضاعت ليس فقط مكانة الخليفة ودولة الخلافة بل ضاعت أيضا أهم أراضي المسلمين فقد استولي الصليبيون علي القدس وعلي معظم الثغور في بلاد الشام. قد يكون ذلك كافيا لفهم القوة الخارجية التي كانت تدعم الدولة السرية في قصر الخلافة وتعدّد الصفقات معهم بلا اعتبار لخليفة المسلمين المراهق الشاذ الغارق مع الجوارى والخصيان. فمن يجرؤ علي الإعتراض علي أمير المؤمنين سيضرب المؤمنون عنققة بتهمة الإبتداع وإشعال الفتنة وتفريق "جماعة" المسلمين.. وبدلا من إدانة او تحذير هؤلاء المجرمين تفنن المؤرخون المرتزقة في كيل المدائح (صكوك الغفران) وصفات الصلاح والتقى والكرم لكل خائن باع الثغور والمقدسات.

فتفجرت أخطر الثورات في وجه الخليفة المقتدر ودولته وقامت ثورة القرامطة وثورة الزنج والدولة الفاطمية في المغرب ومصر .

وتظهر قوة ثمل في السرعة التي أعادت بها المقتدر إلي الحكم فلم يستمر الخليفة الذي جاء بعده وهو عبدالله ابن المعتز غير يوم واحد فقط .

ثم خلع المقتدر مرة أخرى وأقيم بدلا منه الخليفة القادر بالله محمد ابن المعتضد .

ولكن أعيد المقتدر مرة أخرى وقد غلب عليه أصحاب الدواوين (إدارة الدولة) ولم يجعلوا له أمر ينفذ كما يقول المقرئزي .

ويبدو أن كل ذلك: خلعه وأعادته وسلبه ما تبقي من صلاحيات قليلة لديه هو من تدبير القهرماننة ثمل التي بدأت تتصرف كخليفة للمسلمين ، وكانت تجلس المظالم ويحضرها الوزراء والقضاء والفقهاء ، وفي أيامه إنقطع الحج وكثر الهزل والمجون (وهذا طبيعي في دولة تحكّمها جارية وغلمان) وآخر أمره أنه قتل بعدما أقام في الخلافة أربع وعشرين سنة وشهرين وعشر أيام .

كل هذه المدة الطويلة تثبت كم أن المسلمين قد تغيروا تحت حكم الإمبراطوريات العباسية والأموية .  
فبعد أن كان المسلم يقول لعمر بن الخطاب في المسجد النبوي (لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفنا) .  
سار المسلمون علي خطي الأباطرة العباسيين والأمويين في الهزل والوجون و اعجب الناس ذلك فصبروا علي  
المقتدر أربع وعشرين سنة كاملة .

ولم يقتله الناس بل قتله إنقلابيون أتراك من جنوده ولكن الدولة العميقة تخلصت عن هذا التافه وقررت  
الإستعانة بأحد أبنائه علي أمل ان يكون أكثر فائدة ، فتولي من بعده **القاهر بالله ابن المعتضد** الذي لم يرض  
عنه الضباط الأتراك ويبدو أنهم كانوا جزءا رئيسيا من الدولة العميقة التي تتزعمها ثمل ونسوان القصر وغلمانه ،  
وقام الأتراك بخلع الخليفة الجديد و كحلوه بمسما وحمي بالنار مرتين حتي سالت عينيه وقضي في الحكم ستة  
أشهر وثلاث أيام ، ثم تركوه في الشوارع يتسول الناس في المساجد.  
ثم إختارت الدولة العميقة الخليفة الراضي بالله محمد ابن المقتدر وهو أيضا ربيب خصوم القهرمانه ثمل .

### الراضي بن المقتدر.. وضاعت ثغور المسلمين

وفي عهد الراضي بدأ دفع الأثمان لحماية الدولة العميقة من القوة العالمية، فإستولي الروم علي ثغور  
المسلمين(ص123- ج 1 السلوك). وكان الخليفة ضعيفا ومغلوباً عليه من مواليه ومات بعد ست سنين وعشر  
أشهر .

### المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر.. وضاعت الجزيرة والشام

وأستمرت الدولة العميقة بالإستعانة بإبناء المقتدر الذين تربوا علي يد القهرمانه ثمل ، فجاء المتقي بالله إبراهيم  
أبن المقتدر وفي أيامه تغلب بنو حمدان علي الجزيرة والشام وكثر الاختلاف عليه فخلعه توزون التركي وكحله  
كما كحل الخليفة القاهر ثم حبسه معه مكحولان .

فكانت مدة حكمة سنة وأربع أشهر ويومان ومن بعده أختارت الدولة العميقة

### الفضل بن المقتدر .. وطارت مصر من يد العباسيين

أحد أبناء المقتدر وهو الفضل وفي عهده إستولي الفاطميون علي مصر ، وتمسكت الدولة العميقة بأبناء المقتدر  
وأستمر الفضل في الحكم تسع وعشرين سنة وأربع أشهر وليس له سوي الأسم ، وأدار الدولة في يد معز الدولة

ويبدو أن الفضل قد سأم من تلك اللعبة الخطيرة التي استمرت أجيالا فقرر أن يعتزل ، فخلع نفسه من الحكم .  
ومن بعده تمكن أحد القاده الأتراك وهو **البساسيري** وهو قائد عسكري متمرد من الدولة الغزنوية في أفغانستان  
وكان معه عدد من الجنود الأتراك وسيطر علي الأمور في بغداد .

ونتيجة خشيته من السلاجقة الأتراك رتب أموره مع الحاكم المستنصر بالله معد بن الظاهر الفاطمي صاحب مصر ، فأمدته بالأموال حتي أخذ بغداد وقطع منها دعوة بني العباس ، أي تحولت الدولة العباسية إلي ولاية فاطمية مصرية .

حتي قام طغرل بك ملك السلاجقة وأعاد القائم إلي الخلافة وقتل البساسيري وتحكم في سائر الأمور .

### الخلافة المستظهر : وضاعت القدس .

وصل إلي الخلافة المستظهر بالله احمد في وقت كانت بغداد ولاية سلجوقية في واقع الأمر يحكمها الأتراك السلاجقة .

وفي عهده وضاعت القدس من المسلمين وأخذها الفرنجة . فما قامت دنيا المسلمين ولا قعدت كما يمكن أن يتصور المسلم العادي . وكان المزاج السلفي غلب على المسلمين خاصة بعد سنوات طويلة من حكم الخلفاء من أبناء القهرمانه ثمل التي أعادت صياغة عقائد وأخلاقيات أمة الإسلام . بل أعادت رسم الخريطة السياسية لدولة الخلافة وتنازل أبنائها للفرنجة عن الأراضي التي لا لزوم لها مثل ثغور الشام ومدينة القدس التي لدى المسلمين أهم منها في المدينة ومكة . فلنرضى بما قسم الله لنا .

فضياع القدس قضاء وقدر . وتحولت إلي بحث تاريخي لا يترتب عليه أحكام شرعية كما قالوا عن اغتصاب جيش يزيد للمسلمات في المدينة المنورة فذكروا الجريمة ولم يستنكروها . وهكذا مع كل الجرائم يمكن أن تذكرها ولكن حذار من أن تستنكرها أو ترتب عليها حكما شرعيا . فلا شأن للشرع مع التاريخ .. (فللشرع حدود تنتهي عند مصالح الملك !!) .

وبمنطق ذلك العصر وفي تلك الظروف فإن ضياع القدس كان إتفاقا وصفقة سياسية بين السلاجقة في الأناضول وبين الصليبيين في الشام . كما باع الأيوبيون القدس للفرنجة بعد أن حررها صلاح الدين في مقابل تحالف ضد ملك مصر الأيوبي .

### روما والقسطنطينية من الأمويين والعباسيين .. اتجاه ثابت .

ما مضي كان رحلة مع الدولة العميقة في الإمبراطورية العباسية ومدي تورط النسوان والغلمان فيها ، ودور القوى الخارجية خاصة الأتراك السلاجقة والصليبيين في روما والقسطنطينية . الذين راقبوا وتدخلوا عند اللزوم بالوسائل اللازمة من الذهب والنساء والمردان . وبنفس الأسلوب اثروا على المسيرة العثمانية وحولوا حماسها القتالي إلي الجرب ضد البلاد الإسلامية في الشرق وليس نحو أوروبا في الغرب .

وكانت القسطنطينية تراقب وتتدخل بما يلزم ، منذ سيطرة بني أمة على الشام وصراعهم مع الخلافة الراشدة في الكوفة . فقد كان الأمر يمس أمن روما المباشر في العاجل والآجل .

أراحها كثيرا وبلا شك تحول النظام الإموي الجديد من الشورى صوب الهرقلية الوراثية ذات الإمبراطور المقدس المسيطر على دنيا الناس ودينهم . فهي رابحة لمجرد نشوب تلك الحرب بين الطرفين مهما كانت نتائجها . والنظام الإمبراطوري في دمشق والقسطنطينية يمهد أرضية للصفقات وتبادل المنفعة بدلا من العدو العقائدية المستميتة ، التي انحصرت بين المسلمين أنفسهم فقط ، ما بين سُنَّة وشيعة . من يومها إلي اليوم .

## الفصل الرابع

### الخلافة والمُلك بين أبو سفيان

#### والعباس بن عبد المطلب

كان لقاءً بين أهم شخصيتين من قريش في ذلك الوقت وهما: العباس بن عبد المطلب عم الرسول (صلي) وأبا سفيان بن حرب زعيم بني أمية، ومن عظماء قادة قريش وكانا في طريق العودة إلى مكة بعد حضورهما سوياء عرضاً عسكرياً أجراه الرسول (صلي) للقوات التي معه من المهاجرين والأنصار وكان عددهم حوالي عشر آلاف مقاتل لابسين الدروع وكامل معدات الحرب.

كان العرض مهيباً ومؤثراً وكان الهدف منه إقناع أبوسفيان بأن يقنع قريش بتسليم مكة بلا حرب في مقابل امان للجميع ويبدو أن قوة المسلمين أقنعت أبو سفيان بأن لا حل غير ذلك وأثناء عودته مع صديقه العباس التفت إليه أبو سفيان قائلاً:

ان مُلك ابن أخيك اليوم بات عظيماً .

فرد عليه العباس قائلاً: أنها النبوة، وليست الملك .

كانتا جملتان (في الحقيقة قناعتان) هما الأعظم أثراً على التاريخ السياسي للمسلمين في معظم الوقت فيما بعد انتهاء الخلافة الراشدة .

وسنعود كثيراً الي مسألة الخلافة والملك .

### فتح مكة

تم فتح مكة سلماً بدون إراقة دماء وأعطى الرسول (صلي) الأمان لسكانها بإعلانه أن من دخل دار أبوسفيان فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن. أي أنه لا تفتيش ولا إعتقالات ولا قتل للناس داخل البيوت أو خارجها كما فعل الكثير من الحكام فيما بعد أثناء قفزهم علي السلطة متغلبين بالسيف على باقي المسلمين.

إلى أبو سفيان بن حرب تنسب الخلافة الأموية. بينما العباس بن عبد المطلب تنسب اليه الخلافة العباسية .

والخلافتان شملتاً أهم الفترات التي مرت بالدولة الإسلامية في طورها الأعظم الأمبراطوري حيث كانت مترامية الأطراف وتبلغ طولاً حسب المؤرخين مسيرة أربعين يوماً طولاً ومثلها في العرض.

وبلغت درجة من الغنى والثروة حتي أصبح بعض الخلفاء يضرب بهم المثل في الرفاهية الأسطورية كملوك مخلصين في التاريخ العالمي من حيث البذخ والإسراف وسعة الملك.

كانوا يعيشون ويتصرفون (في أغلبهم) كأباطرة يتوارثون إمبراطورية غاية الثراء والقوة ولكن بأسلوب حكم باطش ودموي وبعيد عن العدل أو إقامة أحكام الدين.

وصدقت فيهم رؤية أبو سفيان، وتوارت تماما رؤية العباس. فالأول كان يراها ملكا فرديا وراثيا مطلقا من أى قيد ديني أو أخلاقي. والثاني كان يراها نبوة ونظام حكم محكوم بشريعة مقدسة مرتبطة بالسماء والمسألة لم تكن مجرد خلاف نظري حول بحث اعتقادي. بل كانت قوى اجتماعية تنتهج رؤيتين متناقضتين للإسلام من حيث منهج الحكم. وأسفر ذلك عن كثير من المعارك وسفك الدماء بين المسلمين وكلاهما يرفع نفس الشعارات .

## مسيرة أبو سفيان

وهو صاحب التصور المنتصر بأن الإسلام جاء بالملك وليس بالنبوة. وطبقا لهذه النظرة سارت الامبراطوريات الإسلامية وملوك الطغيان منذ يزيد وصولا الي آل سعود مروراً بالخليفة العثماني سليم الذميمة الذي طبق نفس المبدأ والرؤية بأسلوبه الوحشي الخاص والبصمة العثمانية البيزنطية .

أبو سفيان عندما ظهرت الأزمة بين المسلمين وبشّرت بالخلاف حول قضايا إدارية ومالية فأدى الخلاف الغاضب إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في المدينة المنورة .

في تلك الظروف ترددت في الأسماع وصية أبو سفيان لبني أمية أقوى قبائل قريش وأعظمها نفوذا واحتراما بين العرب، وكانت تنافس في ذلك بني هاشم الذين تفوقوا بظهور نبي من بينهم ودين جديد هو الإسلام. فأثاروا حسد وكراهية بني أمية وحربهم العلنية والمستترة ضد الهاشميين منذ فتح مكة والي أن ورث عنهم بنو العباس تلك العداوة ومضوا فيها قدما. وتحولت تلك العداوة إلى جزء من ديانة الإمبراطورية الإسلامية والممالك التي تشققت عنها. واعتنقوها كدين مع عقيدة سياسية لا ترى بديلا أو مناصا عن الحكم الباطش والذي يتبنى الظلم والتمييز بن الناس على اعتبار المصالح السياسية وتنافس العرقيات. وليس التمايز بالتقوى كما أمر الإسلام (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

عندما قامت إمبراطورية العباسيين علي يد الخليفة العباسي "السفاح" الذي استأصل شأفة الأمويين وكان آخر خلفاء الأمويين الذين قتلهم هو مروان الجعدي أو الحمار الذي قتل في مصر تحت وطأة المطاردة العباسية. قال أبو سفيان (تلقفوها بني أمية كما تلقف الكرة ) .عندما ظهرت بوادر أزمة الخلافة .وبأي طريقة ينبغي أن تكون . بالنص الشرعي أم بالشورى؟

أبو سفيان بن حرب كان يري أن الحكم يتقرر بالصراع وليس بالشورى كما فعل الخلفاء الراشدين أو بالوصية الشرعية كما كان يقول علي بن أبي طالب وأنصاره .

كان معظم من أسلم في فتح مكة طوى صدره علي أشياء أخرى بعد حروب طويلة واضطهاد للمسلمين . لم يكن سهلا عليهم طرح العداوات أو الاستسلام لمنطق النبوة، وقبول الخلافة طبقا لوصية من الله تجعل الحكم ممتدا في آل أبي طالب ولا مجال لتغييره الا بحكم سماوي آخر وذلك مستحيل نظرا لاختتام النبوة برسول الإسلام. لم يتبق أمامهم من حل لتطبيق رؤيتهم القبلية للحكم سوى طريقين أول هو الانقلاب العسكري وإمساك الحكم بقوة السلاح. الحل الآخر هو الخروج عن الإسلام واختراع نبي جديد ورسالة جديدة وهذا في تصورهم هو الطريق الذي سارت عله بنو هاشم للوصول إلى الحكم ، باتخاذ النبوة " ذريعة" فتسابقت قبائل المرتدين العرب

إلى تقدم أنبياء ورسول وكتب وديانات، واستلت السيوف لامتلاك العرب. فكانت حروب الردة في عهد أبو بكر الصديق.

فكان هناك أرضية واسعة للتفاهم بينهم وبين بني أمية ومسلمي فتح مكة من القرشيين بأنه لابد من التخلص من نظرية النص الشرعي التي تجعل الولاية الدائمة لآل أبي طالب من أبناء علي وفاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم). واتفقوا جميعاً من حيث المبدأ على التمرد على أحكام الشريعة وفي مقدمتها (الولاية). وتغيير مبدأ الحكم في دولة الإسلام سعياً مرحلياً إلى إحياء قانون التغلب والصراع.

تلك الجبهة المهيبة مترامية الأطراف لم تكن بعيدة عن أحداث الفتنة في المدينة المنورة و تيار للتمرد الذي يصل إلى بني أمية وقبائل المرتدين في جزيرة العرب ولكن شواهد تشير رغم أنه لم يجري حتي الآن أي تحقيق علمي نزيه ومحيد في المسألة فإن قبائل جزيرة العرب كانت تؤيد وجهة نظر الأمويين بأن يُلغي مبدأ الوصية الشرعية لصالح انتقال السلطة بطريقة أخرى غير النص الشرعي ووافقوا في البداية علي ان تكون الشوري هي الحل الوسط لاختيار الحاكم كخطوة أولى مؤقتة لإلغاء الشوري نفسها والتحول إلي الحكم الوراثي للأقوى والأغنى والأكثر عددا علي حسب التقاليد المتبعة في القبائل العربية منذ قديم الأزل. إضافة إلي أن المحور المؤيد للنص الشرعي علي شخصية ولي الأمر كان مازال قويا لأن ذلك النص قد بلغه الرسول (صلي) أثناء عودته من حجة الوداع وسط مائة ألف مسلم ساروا معه حتي المدينة المنورة في وداع أخير لرسولهم فقد شعروا أنه آخر لقاء معه وأنه راحل عما قريب إلي الرفيق الأعلى.

فبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان المحور المنادي بولاية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كخليفة يحكم المسلمين بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم. كانت قوية إلي حد ما. ولكن إنحياز كبار الصحابة وأهم شخصياتهم خاصة الصحابة الكرام أبوبكر وعمر وعثمان ومعهم الكثيرون، فلنقل الأغلبية، وقد مالوا إلي مبدأ الشوري بدافع الثقة في هؤلاء الشيوخ الكبار الذين قرروا اختيار أبو بكر الصديق بعد شوري تمت علي عجل في سقيفة بني ساعدة الأنصار. وكانت قبائل العرب المرتدة تترصب وترسل تهديدات بالأجتياح للمدينة المنورة وهم علي علم بالمشكلة التي ستفجر بين المهاجرين والأنصار بخصوص الخلافة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقرر علي أن يلغي أصلاً فكرة المواجهة بين المسلمين حول الحكم. حتي لا يحدث قتال بينهم ويجتاح المرتدون المدينة المنورة ويستأصلون شأفة المهاجرين والأنصار جميعاً وينتهي أمر الدين الإسلامي .

الأزمة الثالثة التي ظهرت فيها الآثار الأموية وقبائل الردة كانت مسألة الفتنة في المدينة المنورة بمقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه .

خرج الثوار من ثلاث أماكن أساسية قاصدين المدينة المنورة للإحتجاج لدي الخليفة علي طريقة إدارة الدولة خاصة في توزيع الغنائم والأموال وللمناصب العليا حيث كانوا يرون فيها انحيازاً للأمويين علي حساب أطراف أخرى كانت تستحق أكثر مما أخذت .

تحرك الثوار (المحتجون) من مصر والبصرة والكوفة والمدينة المنورة وكان هدفهم الحوار والتوصل إلي حلول ولم تكن هناك أي نية للمساس بمركز الخليفة عثمان الذي كان يحظى بالاحترام والمحبة في المدينة وبين عموم المسلمين.

ولكن هناك من كان يخشي من الحوار والمناقشة وأن يكون للمسلمين رأي قد يؤخذ به في تنظيم شؤون الدولة أو يكون لهم شكوي يستجاب لها في إعادة تنظيم المسائل المالية ومنها توزيع الغنائم ، وتولي حكم الولايات الجديدة.

فعند الأمويين وعرب الردة، من المفروض أن يكون الحاكم مقدسا لا يحاسب أو تناقشه الرعية الحساب . وأن مقام الخليفة لا يجوز النظر اليه ناهيك عن انتقاد إدارته للأمر. الحل لدى هؤلاء المتربصين كان وقف الحوار وتحويل المطالبة السلمية للحوار مع الخليفة، وتوجيه نظرة إلي مطالب الإصلاح في دولة تطورت كثيرا وتوسعت وتحتاج إلي طرق جديدة للإدارة ومواصفات جديدة لمن يتولون الوظائف العليا وتعاملا أكثر إنصافا من موظفي دولة الخلافة مع الشعوب التي دخلت إلي الإسلام حديثا ولها حضارات عريقة، وأفكار مختلفة وديانات متعددة. فالتعالي القرشي والتمايز القومي للعرب على غيرهم سوف يؤدي في النهاية إلي التباعد ما بين الشعوب وحكامها المسلمين وإلي ضعف مركز الخلافة وربما ثورات ضدها.

لأجل التخلص من هذا المسار التفاوضي الحريص علي مصالح المسلمين كان المعسكر المتربص للانقضاض علي مركز الخلافة وتحويلها إلي ملك وراثي متفرد وباطش علي طراز الهرقلية الرومانية. كان لابد لهم من تحويل طوفان التفاوض إلي مسار جديد أكثر إثارة وعنفا وهو مسار الجريمة والعودة إلي الثأر والانتقام في مجتمع قبلي حديث عهد بالإسلام. فتتحول القضية من مؤتمر للحوار إلي حشد متهيج يدعو للانتقام القبلي والثأر لكرامة القبيلة فتنزوي تلقائيا مصلحة الإسلام ومبادئه وتصبح الجريمة هي الموضوع وليس الحوار. وهذا ما كان، وقعت الفتنة وصارت تلك أحد السنن السيئة في إدارة الشؤون العامة أي تحويل المطالب المشروعة والتجمعات الشعبية الحريصة علي المصالح العامة إلي جريمة قتل أو مؤامرة أو تخريب، وينحرف مسار الأحداث الي الإتجاه الجنائي وليس إلي الحوار. ويختفي العقل وتظهر العصبيات والتشنج. وتختفي الوحدة والتآخي بعد أن كان شبه موحد علي الإصلاح لتصبح فتنة عمياء تدمر من يعترضها . وهكذا تحولت فكرة الحوار مع الخليفة إلي مشكلة اغتيال الخليفة نفسه وانقسم الناس إلي فريقين .

فريق يري الثار فورا من الجناة الذين أشارت اليهم الأصابع المتعجلة لمجرد الشك والكراهية المختزنة من أحداث ماضيه أو ثارت قبلية قدميه. واختفى أخطر المتآمريين في زحام جماهير الفتنة التي تحركها الغرائز وليس العقول. القطاع الآخر من المسلمين في المدينة كان يبحث عن استقرار يكبح الفتنة ويتجنب حمامات الدم . فسارعوا إلي اختيار خليفة جديد ولم يكن أمامهم أفضل من علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ابن عم رسول الله وزوج أبنته فاطمه ووالد سبطيه الحسن والحسين. وكان من المفترض أن يكون هو خليفة المسلمين حسب من كانوا يقولون بأن الرسول قد أوصى بذلك في حجة الوداع، حين رفع يد علي أمام مائة ألف من الحجاج قائلا (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه).

تجاوز المسلمون هذا النص ما بين غير متذكر له أصلا، وما بين متأول لمعني الموالاتة وأنها تعني الصداقة والمحبة وليس الحكم.

تولي علي ابن أبي طالب إمارة المؤمنين كخليفة لرسول الله وطلب البيعة العلنية في المسجد أمام جميع المسلمين بدون إرغام لأحد وهذا الأمر لم يتكرر بعد ذلك أبدا إذ لم تحدث بيعة لحاكم مسلم خليفة أو سلطان إلا في ظل السيف أو بريق الذهب.

أراد علي أن تستقر الأمور وتترسخ الدولة ثم يبدأ التحقيق وعقاب المسؤولين عن جريمة الاغتيال .

ومعني ذلك أن تعقد محاكمة عادلة يرأسها أمير المؤمنين الجديد. وذلك ليس في مصلحة من يريدون الملك الوراثي المتعسف. فأثيرت الصراعات والحروب والحديث عنها يطول. ولكن في النهاية فازت مدرسة أبو سفيان وانتصرت مدرسة الملك علي مدرسة النبوة.(فلا وصية ولا شورى بل ملك عضوض متعسف).

وكان الإعلان الرسمي عن ذلك النجاح هو تولى يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان كخليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين بعد وفاة والده معاوية ابن ابي سفيان (رضي الله عنه). الذي تولى الخلافة في دمشق مقابل الخليفة علي ابن ابي طالب في (الكوفة).

ومع ذلك كان تولى معاوية الخلافة يحمل قدرا من الاطمئنان للمسلمين علي اعتبار أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة. متوقعين أن البشارة بالجنة تساوي درجة العصمة ليس لمعاوية فقط بل لأبنه يزيد أيضا وسائر خلفاء بني أمية. والعصمة درجة لم يدعيها الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

ولكن أبنه يزيد كان شيئا آخر وتولي الخلافة وهو مشهور عنه شرب الخمر و سوء السلوك ولبس الذهب وملاعبة الكلاب والقروود وهو مالم يفعلهُ أحد من حكام المسلمين في عهد الخلافة الراشدة ولكن الخليفة يزيد تعامل بالسيف والبطش المبالغ فيه ضد فئات حدها بعناية وطبقا لدستور دقيق وواضح استوعبه جميع الطغاة من يزيد إلي آل سعود وآل نهيان. لخص يزيد هذا الدستور في أبيات شعر واضحة المعنى سهله الفهم ومؤثرة. أنكرها أتباع مدرسة الحكم الأموي العضوض وسلالته المستمرة حتي الآن .

ولكن ميزة يزيد/ إن كان له ميزة/ فهو أن عمله كان لا يبتعد عن قوله ولو بشعرة واحدة. فقد برهنت أفعالة علي صدق أقواله وأنه قالها ونفذها ولم يقلها فقط. فلم تعد هناك حاجة لمجرد ذكرها فقد كانت الأفعال قاطعة الدلالة على اعتقاده المعاني التي جاءت في شعره .

## مع الأموية الحكم الإسلامي يتحول من نموذج

### المدينة المنورة إلى نموذج حكم الجيران: روم القسطنطينية

يزيد بن معاوية أضاف بعدا جديد وخطيرا لمفهوم الحكم في الإسلام وهو الثارات القبلية بين بطون قريش. وان الرسالة نفسها كانت أكذوبة حاول بها بنو هاشم الاستئثار بحكم قريش والسيادة عليها. والادعاء بأن نبي منها جاء بدين جديد غير أصنام قريش.

ووضع في ذلك شعرا مشهورا عنه (اسميناه دستور يزيد للحكم الإسلامي) ونفاه عنه إنصار الحكم الجبري الوراثي فقال يزيد بعد أن قتل جيشه الحسين بن علي واصحابه في صحراء كربلاء، لأن الحسين رفض مبايعته كونه غير كفؤ للخلافة طاعنا في أخلاق يزيد ودينه فلما قتل الحسين وتمزقت أشلاؤه في صحراء كربلاء مع سبعين من أصحابه وأهل بيته أمام ثلاثين ألف مقاتل من جيش ابن زياد الوالي الأموي على الكوفة . وحملت رؤوس الضحايا على أسنة الرماح. إلى قصر أمير المؤمنين يزيد في الشام، ومعهم سبايا القتلى ومنهم زينب شقيقة الحسين وحفيدة نبي الإسلام.

فأنشد يزيد في مجلسه قائلا (محددا بدقة النص الرسمي لدستور حكم الهرقلية الإسلامية ، نافذ المفعول حتى اليوم).

ليت أشياخي ببدر شهدوا  
لأهلوا واستهلوا فرحا  
جَزَع الخزرج من وقع الأسل  
وقالوا يا يزيد لا تشل  
وعدلنا ميل بدر فاعتدل  
قتلنا الضعف من أشرافهم

لعبت هاشم بالملك  
فلا مَلَكُ جاء ولا وحي نزل  
لست من خنيف إذا لم انتقم  
من آل أحمد جزاء بما كان فعل

يقوم الدستور في نصه الرسمي هذا على معتقدين أساسيين.

**الأول:** التكذيب بالرسالة وأن شيئاً لم يأت من السماء ولكنها خدعة من بنى هاشم كي يحصلوا على حكم العرب.  
**والثاني:** الانتقام من آل بيت الرسول (أبناء علي بن أبي طالب) عقاباً للرسول على قتل قادة الكفر من قريش في غزوة بدر.

فيزيد بذلك صاغ شعراً نهجا جديدا للحكم طبقه الكثير جدا ممن جاءوا بعده من سلاطين وخلفاء. لا يرون في موضوع الشريعة الا عبثا. (فلا دين في السياسة ولا سياسة في الدين). كما قال بعض المتأخرين منهم.. من هنا برزت مشكلة جديدة ظل المسلمون يعانون منها إلي الآن وهي مشكلة شرعية الحكم فإذا كان الدين يراه الحاكم وأسرته الحاكمة عبثاً وصراعاً بين الأقوياء ومجرد خداعاً للعامة وتملقاً لمشاعرهم الدينية وأن الإسلام هو للعوام فقط وفي حدود أداء الشعائر الدينية بلا روح أو فهم وتعطيل جوانب الإسلام في مجملها من حلال وحرام. أما الإقتصاد والسلوك وباقي المعاملات الاجتماعية فأصبح الحاكم يستمد شرعيته من شكليات لا تقدم ولا تؤخر مثل انتمائه القبلي إلي أحد بطون قريش أو البيت النبوي الشريف فإذا لم يجد من ذلك شيء لجأ إلي الاهتمام بالشعائر بشكل مبالغ فيه مثل الاحتفالات الدينية التي تحولت إلي كرنفالات بالمعني الحرفي من ألعاب ورقص وحلوي وهدايا سلطانية ومقرئين وأناشيد وأضواء وألعاب تستمر أياما وليالي. أو إجبار الرجال والنساء على ارتداء "سراويل الفتوة" وأمر الشرطة بالتأكد من ذلك في الشوارع. كما سيمر بنا لاحقا.

إذا كانت الدولة مقتدرة اهتمت بالمنشآت الدينية والزوايا والتكايا وتزيين المساجد بالمصابيح والبخور والفرش والبنائيات الفخمة. والمبالغة في المظاهر السلطانية من حاشية وملابس وأسلحة وخيول ومركبات وقصور وحدائق ونوافير.

بعضهم عمل أشياء مفيدة كتمديد الطرقات والترع وكان ذلك وسيلة لتنمية الخراج والضرائب. والقليل منهم قدم خدمات اجتماعية ممتازة سابقة لعصره (مثل بيبرس وقلاوون من سلاطين المماليك الأتراك وربما هناك خليفة أموى واحد) قاموا بإنشاء مستشفيات او بيوت لرعاية الضعفاء من رجال ونساء وعجائز ولكن تلك الطفرات الإنسانية والحضارية لم تستمر طويلا. لأنها كان نزعات فردية من حكام كان يجري التخلص منهم في أقرب وقت، كونهم خارج سياق دستور الحكم الهركلي الذي ابتكره يزيد (هرقل الأول).

التطبيق العملي لمبادئ قصيدة يزيد، كانت عمليا ما يلي :

1- قتل الحسين عليه السلام مع سبعين من أهل بيته وأنصاره وقطع رؤوسهم وحملها علي الرماح الي قصر الخليفة يزيد في الشام وحمل نساء من بيت النبي سبايا علي ظهور الأبل العجفاء وتقديمهم للناس في الشام علي أنهم سبايا من الديلم.

2- كانت موقعة الحرّة التي قتل فيها عشرة آلاف من الصحابة وأتباعهم وذرياتهم وأبيحت المدينة المنورة ثلاثة أيام لجيش يزيد. أحل لهم فيها أعراض النساء المسلمات ودم الرجال من صحابة وأبناء الصحابة. وأن يباع الرجال الأسرى بصفتهم عبدا ليزيد. ويوضع الناس أمام أحد خيارين إما إعطاء البيعة ليزيد أميرا للمؤمنين كعبيد له أو القتل بالسيف في الحال.

أطلقت دولة الخلافة الأموية كامل طاقتها في مطاردة (آل أحمد) أي أبناء علي ابن ابي طالب وذريتهم .

وكانت بني أمية قد اغتالت الحسن شقيق الحسين بالسم حتي لا يتولى الحكم بعد معاوية حسب اتفاق للسلام بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما. لوقف الحرب (عام الجماعة)، كان قد تم بينهما باستبعاد يزيد من ولاية العهد.

كما قام جهاز الدولة الأمية بمحاربة عبد الله ابن زبير، في مكة الذي انشق عن الدولة وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين وبايعه جمهور من العراق ومصر والحجاز.

وتمكن الأمويون من قتل ابن الزبير وضرب الكعبة بالمنجانيق وأحرقها وكان ذلك إنجازا مبكرا آخر للخلافة الأموية.

أسفرت الفترة الأموية منذ بدايتها عن تقسيم الأمة عرقيا حسب اقترابها أو بعدها من بني أمية ونظامها الجديد . كل عنصر أو مجموعة بشرية أبدت تعاطفا مع علي كرم الله وجهه تم تصنيف علي أنها عدو فكان من الأعداء العنصر الفارسي بشكل عام نظرا للمصاهرة التي تمت بين الحسين عليه السلام بزواجه من بنت "يزد جرد" أمبراطور فارس التي كانت من بين سببا الحرب. ومن الأعداء ضعفاء الموالى من غير العرب عموما.

كما أن سلمان الفارسي كان مقربا من الرسول(صلي) وعلي ابن أبي طالب حتي قال عنه الرسول (سلمان منا آل البيت) وهي أعلى مرتبة ممكن أن ينالها أي شخص من المسلمين فيما عدا آل البيت الذين حددهم الرسول(صلي) وهم الحسن والحسين وعلي وفاطمة ونص عليهم في حديث الكساء الشهير .

كان من المغضوب عليهم أهل مصر إذ كانوا من ضمن الثائرين علي الخليفة عثمان (رضي الله عنه) والمشاركين في الثورة التي حدثت في المدينة وأدت إلي الفوضى ومقتل الخليفة عثمان الذي ينتمي إلي بني أمية .

فكان الأمويون هم أكثر المطالبين بالثأر لعثمان قبل حتي إختيار خليفة جديد أو إستقرار أمور الدولة في يد علي بن ابي طالب(رضي) وكان زعيم الحركة هو معاوية ابن ابي سفيان الذي نصب نفسه خليفة في الشام في مقابل خلافة علي في الكوفة وقد أیده عدد من الصحابة علي رأسهم طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ونشبت حرب الجمل في البصرة ثم حرب صفين وانتهي الامر باغتيال علي ابن ابي طالب في الكوفة وإتمام السيطرة وإستقرار الأمور في يد معاوية ثم أبنه يزيد وكانت المبايعة تتم بالإكراه بينما يقف رجل بالسيف خلف من تطلب منه البيعة فإذا رفض يقتل علي الفور .

وهكذا تأسست الديمقراطية الأموية في النظام الهرقلي الجديد والتي استمرت منذ بيعة يزيد إلي آخر بيعة لآل سعود .

استمر حكم بني أمية أقل من مئة عام وتلاههم حكم بني العباس الذي أستمر أكثر من خمسمئة عام .

كانت امبراطوريات قوية حققت إنجازات عمرانية وعسكرية وعلمية لا شك فيها ولكنها لم تحقق شيئا في مجال الحكم العادل طبقا للشريعة الإسلامية بل وضعوا شرائعهم الخاصة وطبقوها بالسيف .

فنشروا الظلم والإرهاب واغتصبوا الحقوق وبدلوا الشرائع حتي بلغوا من الإسفاف والانحطاط درجة يصعب صدورها من مسلم عادي ناهيك عن خليفة أو سلطان أو قائد. وسوف نمر علي بعض الأمثلة في مواضع قادمة

## الفصل الخامس :

### بداية جرائم الأموية الهرقلية

#### " موقعة الحرّة " :

كما جاءت في أحد المواقع السلفية (إسلام ويب)

قال ابن حزم في جوامع السيرة: أغزى يزيد الجيوش إلى المدينة، حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى مكة، حرم الله تعالى، فقتل بقايا المهاجرين، والأنصار يوم الحرّة، وهي أيضاً أكبر مصائب الإسلام، وخرومه، لأن أفاضل المسلمين، وبقية الصحابة، وخيار المسلمين من جلة التابعين قتلوا جهراً، ظلماً في الحرب، وصبراً، وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وراثت، وبالت في الروضة بين القبر والمنبر، ولم تصل جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا كان فيه أحد - حاشا سعيد بن المسيب - فإنه لم يفارق المسجد، ولولا شهادة عمرو بن عثمان بن عفان، ومروان بن الحكم عند مجرم (مسلم) بن عقبة المري بأنه مجنون لقتله، وأكره الناس على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد له، إن شاء باع، وإن شاء أعتق؛ وذكر له بعضهم البيعة على حكم القرآن، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتله، فضرب عنقه صبراً، وهتك مسرف، أو مجرم الإسلام هتكاً، وأنهب المدينة ثلاثاً، واستخف بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدت الأيدي إليهم، وانتهبت دورهم. انتهى.

وأما بخصوص استباحة الفروج في تلك الواقعة: فقد أنكرها بعض المعاصرين، وعدوها من افتراءات أهل البدع، الذين يبغضون معاوية -رضي الله عنه- وابنه يزيد، لكن جمعا من الأئمة المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير "!!" ، وابن حجر، وغيرهم قد ذكروا استباحة الفروج في واقعة الحرّة، ولم يستنكروها، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: فإن أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته -يعني: يزيد بن معاوية- وأخرجوا نوابه، وأهله، فبعث إليهم جيشاً؛ وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف، ويبيحها ثلاثاً، فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثاً، يقتلون، وينهبون، ويفتضون الفروج المحرمة، ثم أرسل جيشاً إلى مكة المشرفة، فحاصروا مكة، وتوفي يزيد، وهم محاصرون مكة... انتهى.

**وعلى كل حال:** فعدم ثبوت استباحة الأعراس لا يهون من شناعة، وفضاعة الجرائم التي اقترفها ذلك الجيش في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبوت استباحة الأعراس في واقعة الحرّة، أو عدم ثبوتها بحث تاريخي، لا يترتب عليه أمر شرعي.

والله أعلم.

## ميدان – قناة الجزيرة

(المؤرخ خليفة بن خياط في تاريخه ساردا مشهدا من يوم وقعة الحرّة)

في عام 60 من الهجرة توفي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- ليخلفه في حُكم الدولة الأموية ولده يزيد بن معاوية الذي سيمكث في الحكم ما يقارب من أربع سنوات شهدت فيها الدولة الأموية أحداثا جساما في العراق والحجاز، كانت قد تسببت في العديد من الفتن وثورة في الآراء السياسية والفكرية التي أدت إلى انقسام جسيم في وعي وجسد الأمة منذ ذلك التاريخ وما قبله وإلى يومنا هذا.

لم يرضَ الحسين بن علي -رضي الله عنهما- بشرعية الملك الوراثي، وكان من رأيه أن تختار الأمة زعماءها السياسيين من الخلفاء اختيارا حرا قائما على البيعة والشورى وإبداء الآراء وتقليبها بين الناس، بينما كان رأي معاوية يتمثل في أن الثقل السياسي الحقيقي أضحي لبني أمية، وأضحت الشام كلها طوع أمرهم، ولا ترضى بديلا لهم كما يذكر ابن خلدون في مقدمته، وخشية من دخول الأمة لمرحلة جديدة من الصراع والاحتراب الأهلي كما حدث في زمنَي عثمان وعلي -رضي الله عنهما-، ارتأى أن يكون الأمر في بيته؛ لملمة للشمل، وطلبا للهدوء السياسي، وسدا لباب الفتنة.

وبسبب العداء القديم بين قبائل العراق الذين أيدوا عليا والحسن لا سيما في معاقل الكوفة والبصرة، أرسل الكوفيون إلى الحسين في المدينة المنورة لكي يوافيهم في العراق ليقود بهم الحرب على يزيد وأعوانه، ولكي تعود الأمور إلى نصابها، ورغم تحذيرات عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب للحسين، رفض آراءهم، وتخلّى عنه أهل العراق، واستشهد -رضي الله عنه- في كربلاء قرب الكوفة في محرم سنة 61هـ.

وكانت تطورات الشهور التالية بخروج عبد الله بن الزبير بن العوام سنة 63هـ في مكة، ثم حركة التوابين الذين أرادوا أن يُكفّروا عن ذنبهم بخذلانهم للحسين -رضي الله عنه- سنة 65هـ، وإعلان أهل المدينة المنورة للعصيان والخروج عن دولة الأمويين لما فعله يزيد بن معاوية وقام به من أفعال مشينة جاءت إليهم سنة 63هـ؛ كلها أدت إلى وقوع الحرب الأهلية بين المسلمين في أقاليم العراق والحجاز بالتحديد.

على أن وقعة الحرّة في المدينة النبوية سنة 63هـ كان لها تفاصيلها وأسبابها التي تتفاوت -للغرابة الشديدة- بين عدد من المؤرخين والباحثين، والتي أفضت في نهاية المطاف إلى ارتواء مدينة رسول الله بدماء الصحابة وأبنائهم، فكانت كارثة من جملة كوارث تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام.

فما وقعة الحرّة؟ وما أهم أسبابها ثم ما أبرز نتائجها؟ ذلك ما سنراه في سطورنا التالية.

كانت حادثة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين -رضي الله عنه- في محرم سنة 61هـ مصيبة كبرى في واقع العالم الإسلامي، حادثة كشفت بشاعتها لحفيد رسول الله وآل بيته من قبل ولاية يزيد بن معاوية في العراق وجيوشه أن ما يهم هؤلاء هو مقاليد الحكم والسلطة، غير عابئين بمقام الحسين، "فقتلوه مظلوما له ولطائفته من أهل

بيته رضي الله عنهم، وكان قتله من المصائب العظيمة؛ فإن قتل الحسين وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة" كما يكشف ابن تيمية في "مجموع الفتاوى".

والثابت تاريخيا أن يزيد بن معاوية الخليفة الأموي آنذاك لم يأمر بقتل الحسين، وإنما أمر قواته وولاته بمنعه عن الوصول لأنصاره في العراق كي لا يخرج بقوة مسلحة كافية لإسقاط الدولة الأموية، وهو ما تحقق بالفعل حين ردع والي العراق عبيد الله بن زياد أهل الكوفة والبصرة، وسحق تمردهم، لكنه زاد على أوامر يزيد وحاول إجبار الحسين -رضي الله عنه- على الاستسلام وأخذه أسيرا، وهو ما رفضه حفيد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليدخل بقواته وآل بيته الذين لم يزيدوا على السبعين في حرب غير متكافئة ويسقط في نهاية المطاف شهيدا -رضي الله عنه-.

وفي زمن كان التواصل الآني واليومي بين المسلمين في العراق والحجاز ومركز الدولة الأموية في دمشق الشام مستحيلا، نُسجت الأخبار والحكايات والشائعات، وكانت الحادثة في ذاتها سببا لاستثارة الناس، لا سيما في المدينة.

## أحكام ملفقة لتضليل الأمة

الأبحاث السلفية التي وردت في هذا الباب فيها كل ملامح الحوار الموجّه لخدمة الحكومات الظالمة والدفاع عنها حتي بعد مرور قرون علي جرائمها.

وذلك كما قلنا لأن تلك الجرائم مازالت مستمرة والأنظمة مستمرة علي نفس الفلسفة بأشكال تناسب هذا العصر. فمن الأساسيات عندهم ، إما التكتّم على الحقيقة وإخفائها تماما أو إظهار جزء وإخفاء آخر وأعطاء تبريرات لوقوع الجريمة وتعفي المجرم من المسؤولية خاصة إذا كان هذا المجرم من الحكام الكبار أو مؤسس منهج الخروج عن الإسلام في الحكم ، بل الخروج عن الإسلام نفسه كما هو واضح في أقوالهم وأعمالهم .

فلا بد أن تظهر بعض الحقائق رغم كل محاولات التمويه والإخفاء وترويج الأكاذيب وإرهاب الخصوم فكريا وماديا.

فيقولون عن جرائم يزيد أن المسئول عنها ليس يزيد ولكن المسئول هو إما والي الكوفة (ابن زياد) أو قائد الجيش الذي تمادي في التنفيذ وزاد في الأوامر يقولون ذلك عن حادث كان في غاية الخطورة والحساسية من وقته وإلي وقتنا الحالي وزاد محلل آخر في الفلسفة أن أجهزة الاتصال الحديثة لم تكن موجودة في ذلك الوقت فكثرت الإشاعات، رغم أن البريد لم يكن ينقطع لحظة واحدة على ظهور الخيل ما بين الشام ومواقع الأحداث في العراق والمدينة المنورة لأن الدولة الأموية كانت مهددة بالسقوط بالفعل وكانت قد حشدت كل إمكانياتها للفرز في معركة مصير وحسم الأحداث لصالحها.

يتكلمون عن قتل الصحابة في المدينة والمسجد النبوي وكأنه شيء بسيط حدث بالمصادفة وكأن قتل المسلم البرئ يعتبر شيء عادي أو الإعتداء على أعراض المسلمين جريمة يمكن التجاوز عنها أو أن تنسي مع مرور وتسبح مجرد بحث تاريخي لا يترتب عليه حكم شرعي .. هكذا ببساطة!!

فقال أحد مدافعي الطواغيت : ثبوت استباحة الأعراض في واقعة الحرة ، أو عدم ثبوتها بحث تاريخي ، لا يترتب عليه أمر شرعي!! .

وهكذا يصبح التاريخ معفي من الأحكام الشرعية وما حدث فيه قد مضى وانتهى ولا شأن لنا به. وعليه فإن جزء كبير من القرآن الكريم هو مجرد أبحاث تاريخية (لم تثبت بالبحث العلمي كما يقول البعض) وبالتالي وحسب نفس المنطق لا اعتبار للأحكام الشرعية التي ترتبت عليها في القرآن الكريم.

ولكن إذا كان الجاني من مذهب مخالف لتغير الأمر رأسا علي عقب فمزالوا يدقون طبول الثأر ويحكمون بتكفير ابن العلقمي وجميع الشيعة إلي قيام الساعة بسب بتورطه المزعوم في احتلال التاتار بغداد.

ويتورعون عن تجريم الإعتداء وإستباحة أعراض النساء في المدينة المنورة بينما لا يتورعون عن تكفير شخص يقول أن اسمه عبد النبي لأن في ذلك شرك.

ويحتج أحدهم أن عميد، المذهب السلفي الملكي ابن تيميه صاحب المواقف البطولية!! أمام التاتار في دمشق، وابن كثير الطاغية المؤرخ وصاحب التفسير والمفسد في الأرض في العصر الأيوبي .

كما سيأتي ذكره وغيرهم مثل ابن حجر لم يستنكروا تلك الجريمة العظمي وكأن ذلك يجعلها عملا جائز، يمكن التجاوز عنه. فكان لذلك الموقف " الشرعي " اثرا مدمرا وأهدار من الدماء سالت في بلاد المسلمين كما سأتى معنا لاحقا.

فهل أن قول فقهاء السلاطين هو أقوى من قول الله ورسوله لهذا أستخدم الحكام الطغاه أمثال تلك الشخصيات لتبرير جرائم الحكام وجعلها شرعية أو جائزة وربما أجتهدا يثاب عليه .

ويقول آخر: ان ما يقال عن الاعتداء علي أعراض النساء في المدينة هو افتراءات أهل البدع الذين يبغضون معاوية وأبنة يزيد. وكأن المسألة شخصية وتنافس علي الحكم، فالذي يبغض شخص في منصب الحاكم يبغض أعماله وهذا جائز ولم يحتج عليه أحد من خلفاء الراشدين ، إذ ذهب أحد المسلمين إلي الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال له: اني اكرهك. فقال له عمر وهل منعت عنك شيء من أعطيتك ؟ فأجاب الرجل كلا ، فقال عمر: إذهب فإنما يبكي علي الحب النساء.

ومشهور عن خطابات الشيخين عمر ابن الخطاب وأبو بكر الصديق أنهم طلبوا من المسلمين عندما توليا الحكم ان يقدموا لهما المساعدة إذا كان عملهم صالحا أو يقومهما إذا وقعا في الخطأ .

فقال أحد المسلمين لعمر: لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا.

فقال عمر رضي الله عنه : أحمد الله أن في أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه فلم يتكلم أحد عن أهل البدع ولا كراهية شخصية كما يقول محور الدفاع عن الطغيان .

لم يقف الأمر عند مجرد طغيان ولكنه وصل إلي درجة الكفر البواح والا ماذا يقول من أسماهم السلفيون "بالعلماء" .

المحققين من أمثال ابن تميميه وابن كثير عن طريقة البيعة وصغتها التي كانت تحت تهديد السيوف الذين لم يستنكروا العدوان علي أعراض النساء وقتل الصحابة في الحرم النبوي .

ولكن ماذا عن القول بان يزيد وقائدة مسلم بن عقبة المري الذي كان يأخذ البيعة بالسيف من الناس علي أن يبايعوا يزيد ابن معاوية علي أنهم عبيد له ، إن شاء باع وأن شاء أعتق ، وذكر له بعضهم البيعة علي حكم القران وسنة رسول الله (صلي الله عليه وسلم ) فأمر بقتله فضرب عنقه؟؟ .

أن بيعة يزيد ترفض حكم القرآن وسنة رسول الله وأن يقر الشخص قبل البيعة بأنه عبد ليزيد وملك يمينه فأبي نصوص الشرعية تجيز ذلك وما حكم النصوص الشرعية في ذلك .

وهل أراء خدام السلاطين أمثال ابن تيميه وابن الأثير الذين لم يستنكروا جرائم يزيد بل برروا تلك الجرائم بشكل غير مباشر بأن أهل المدينة قد نقضوا البيعة وقد تم تحذيرهم ولم يستجيبوا ويقول هيئة دفاع الطواغيت أن عدم ثبوت استباحة الأعراض لم يهون من شناعة وفضائع الجرائم التي شنها جيش يزيد وذلك علي اعتبار أن استباحة الأعراض واقعة غير ثابتة ومجرد تشنيع من أهل البدع الذين يبغضون معاوية(رضي الله عنه) . ما حدث في معركة كربلاء الذي قتل فيها مع سبعين من أصحابه وأهل بيته. فقالوا أنه دخل في معركة غير متكافئة وتجاهل نصائح شخصيات معتبرة مثل عبد الله ابن عباس ومحمد ابن علي ابن ابي طالب أخو الحسين وأصر علي المعركة حتي لا يستقر الوضع ويكتسب الانحراف الكبير الذي يأسسه بني أميه ويكتسب الشرعية بين المسلمين بان الحسين لم يعترض عليه .

وأصر علي الاعتراض ورفض البيعة ليزيد لعدم أهلية يزيد وبلا أي سند شرعي أو موافقة من المسلمين .

وكان الحسين وقت معركة كربلاء من وجه نظر الحكم بولاية علي ابن ابي طالب والتي أعلنها الرسول (صلي الله عليه وسلم) في حجة الوداع بأن يكون علي احدي عشرة من أبنائه حكاما معينين بحكم الله تعالي منصوص عليهم بالإسم .

وكما ذكرنا فإن المسلمين في أغلبهم إنصرفوا عن ذلك الحكم لأسباب متنوعة وقررت الأغلبية إلي قبول الشوري وبالتالي قبول النتيجة التي أسفرت عنها اجتماع سقيفه بني ساعده بأختيار أبوبكر الصديق خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم).

كان طبقاً لذلك الحسين عليه السلام هو الخليفة الثالث بعد وفاة شقيقة الحسن ووالده علي ابن أبي طالب .

فمن وضع بني أمية امام الحسين في جيش قوامه ثلاثون ألفا لقد وضعوا عبید الله ابن زياد الذي طالب الحسين بتطبيق شروط يزيد بأن يستسلم ويباع يزيد تحت التهديد ، علي نفس الشروط التي ذكرناها وهي العبودية ليزيد ان شاء باع وان شاء أعتق وليس هناك شرط بتطبيق القرآن أو السنة وهو الشرط المتم لبيعه يزيد أن البديل سيكون القتل للحسين ولجميع من معه .

فقال الحسين يخطب في رجاله قائلاً: أن الدعي ابن الدعي قد وضعنا بين ركيبتين إما السلّة (الموت) وإما الذلّة وهيئات منا الذلّة .

وصارت هذه الكلمة شعاراً لإتباع الحسين حتي اليوم ذلك هو الحسين ابن علي فمن هو عبید الله ابن زياد .

وكانت زينب شقيقة الحسين عليه السلام تخاطبه قائلة : ويحك يا ابن مرجانة والله لين تميمت ذكراً

فمرجانة أم عبید الله ذلك الحاكم الباطش المخيف كانت واحدة من صاحبات الرايات في مكة .

كما كان أبوه (زياد بن أبيه) مولوداً غير شرعي لأحدى صاحبات الرايات (بَغِيٍّ) في مكة .

وكان من المتعارف عليه ان يتبني الطفل أحد زبائن تلك المرأة البَغِيٍّ وذلك بلا اعتراض إذا اختارته الأم ، ولكن يبدو أن زياد لم يتقبله أحد ممن تشاركوا في صناعته. وكان من بينهم ابو سفيان قبل إسلامه وعندما استقر الأمر لمعاوية وأصبح خليفة للمسلمين في الشام أعلن تبني زياد وألحقه بنسبه فاصبح يسمي زياد بن ابي سفيان أي ابن عم بالنسب لخليفة المسلمين يزيد بن معاوية. وذلك مخالف لنص الآية الكريمة:(ادعوهم لأبائهم). إلا أن

الخليفة معاوية كان قويا بما فيه الكفاية لإقناع المعارضين بالصمت والتجاوز عن المسأله ويبدو أن زياد الأخ بالتبني للخليفة معاوية، قد كرر نفس المسأله مع عبید الله فألحقه بنسبه. لهذا وصفه الحسين رضي الله عنه بأن (الدعي ابن الدعي). فيقال لزياد وعبید الله أنهما أذعيا أي ملحقين بالأب عن طريق الإدعاء وليس بالنسب الحقيقي.

عبید الله الدعي ابن الدعي هو الذي حگمته يزيد في مصير الحسين وآل بيته وقتل الجميع ومزق أجسادهم وتركهم عرايا ممزقين فوق رمال الصحراء ، وحمل الأحياء إلي يزيد في الشام .

وكان منهم زينب حفيدة الرسول(صلي الله عليه وسلم) وعدد من بنات الحسين كان عبید الله ابن زياد لم ينتسب بقرابة مع الخليفة يزيد فهو ابن أخيه بالأدعاء ، لهذا تمتع بقوة كبيرة في أي مكان تولي فيه منصب وكان يتعامل بجبروت وتعالى بدافع شعوره بالدونية وكان يحاول تعويض ذلك بالعنف وسفك الدماء.

كان عبید الله ابن زياد شخصية محورية في أحداث كربلاء كما أنه كان منفذ سياسة التي طبقا قادة العسكريين مثل مسلم بن عقبة في المدينة .

يقول فريق الدفاع عن الطاغوتية أن حادثة مقتل الخليفة عثمان ابن عفان(رضي الله عنه) ومقتل الحسين (رضي الله عنه) كانت من أكثر المصائب التي أصابت الإسلام في وقت مبكر وتسببت في إفتراق كلمة المسلمين وحدوث الإنشقاق الذي مازال ساريا حتي الآن /بقصد يبين أتباع مدرسة يزيد التي حكمت من ذلك الوقت وحتى الآن وبين مدرسة علي أين ابى طالب التي مازالت تحت التضيق والمطاردة المادية والمعنوية حتي اليوم . ولكن هناك فروق جوهرية بين الحادثتين .

الفرق الأول: هو ان مقتل عثمان (رضي الله عنه) كان حادثا وقع في أثناء فوضى واضطراب بين سكان المدينة والوفود التي جاءت من خارجها لمقابلة الخليفة لمناقشته في مطالبهم .

و مقتل الحسين تم في معركة عسكرية مخطط لها وحشدت لها الدولة أقصى طاقتها ، ووضعت ثلاثين الف من جيشها في مقابل سبعمئة من أنصار الحسين.

ثانيا: أن العرض الذي تقدم به ابن مرجانة للحسين عليه السلام كان معروفا أنه سوف يرفض بالتأكيد .

وأما تقدم به ابن مرجانه فقط رفعا للعتب فمن الغير المعقول أن يقبل الحسين أن يكون عبداً ليزيد ابن أبي سفيان أو ان تكون البيعة علي غير كتاب الله وسنة رسوله .

أنها كانت عملية إصرار علي قتل الحسين وهذا قرار لا يمكن أن يتخذه غير الخليفة يزيد شخصيا ولا يمكن أن يقوم بتنفيذه غير شخص لا دين له ولا ضمير ولا يخشي غير ابن عمه يزيد . كما أن قرار قطع رؤوس الشهداء وتعليقها على الرماح إلى دمشق لم يكن مجرد اجتهاد من دعي بل قرار سيادي من خليفة شرعي للمسلمين نفذة بكل دقة وسعادة، شأن كل الأذعيا (أولاد الحرام) أخية الدعي عبید الله بن زياد .

معاوية رضي الله عنه كان بعيد النظر للغاية عندما جازف بالحاق زياد بنسبه، ليجهز بيد غير أموية تخوض مباشرة في دماء الطالبين بلا تردد فاختر زياد الذي أختار دعيا آخر ألحقه بنسبه الرفيع هو عبید الله قاتل الحسين وقاطع رؤوس أصحاب الحسين. وبقيت أمية بعيدة عن مطالب ثار الطالبين وعار قتل سبط نبي الإسلام..

يتم التعتيم دوما علي الجذور الاجتماعية وتأثيرها النفسي علي ابن مرجانة كشخص محتقر إجتماعيا ومدين بكل شيء لآل ابى سفيان الذين تبنوه وألحقوه بنسبهم الرفيع.

مدرسة الدفاع عن الطواغيت الأموية عند الكلام عن عبید الله بن زياد والى الكوفة وقت مصرع الحسين، لا يذكرون أن أمه مرجانة كانت بغيًا وأن أباه زياد كان منحط اجتماعيا وأخلاقيا ومجرد عبد لآل بني سفيان لا يتوانى عن القيام بأي شيء واي جريمة لإرضائهم .

## مروان بن الحكم بن ابي العاص مؤسس وهادم الإمبرطورية الأموية

الشخصية الأخرى الهامة جدا والتي لا تطيق ذكرها مؤسسة الدفاع عن الطواغيت هي الشخصية الأموية (الحكم ابن ابي العاص) الذي إن تمكنوا من حذف اسمه من التاريخ لفعلوا ، ولكن تفشي أمره في العديد من المصادر رغم الأحتراس الشديد (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

ليس هذا فقط بل أن بعض المؤرخين تلك المرحلة أشاروا صراحة ان مروان بن الحكم ابن ابي العاص كان مسئولاً عما حدث للخليفة عثمان رضي الله عنه أي مسؤل عن الفتنة التي حدثت وأدت إلي استشهاده (أنظر كتاب السلوك (ص 111 -ج1 السلوك) ) .

لقد ذكر المقرئزي ملخص عن سيرة الحكم بن العاص وكيف أنه طُرد من المدينة المنورة بأمر من الرسول (صلي الله عليه وسلم) الذي طلب ألا يساكنه ابن ابي العاص فيها وكان ذلك بطبيعة الحال حكما شرعياً واجب النفاذ . فأستبعد الي الطائف وظل فيها لسنوات إلي أن أختير عثمان (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين ، فسمح بعودة الحكم بسبب صلة القرابة بينهما .

وكان عثمان (رضي الله عنه) لين الجانب سمحا عظيم البر بأهله وقبيلته فأساء بعضهم استخدام تلك الميزة بشكل أغضب الناس علي الخليفة إلي أن وصلت إلي حد الثورة التي أدت إلي استشهاده .

كان مروان بن الحكم ابن ابي العاصي شديد القرب من الخليفة وله تأثير علي قراراته حتي أعتبره بعض المؤرخين أنه مسؤل عن الفتنة في المدينة المنورة ومقتل عثمان (رضي الله عنه) وذلك إتهام عظيم وخطير وتجاوز عنه مؤرخو الفتنة.

الحكم ابن ابي العاصي هو والد الخليفة مروان ابن الحكم اول الخلفاء من آل مروان ، واليه ينسب بني مروان ودولتهم المروانية . ولد مروان بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة ، فلما كانت أيام عثمان خرج مروان إلي البصرة مع طلحة والزبير وعائشة ، يطالبون بدمه فقاتل مروان في وقعة الجمل قتالا شديدا وإنهزم أصحابه فتواري وشهد صفين مع معاوية ، ثم أمّنه علي ، فأثاه فبايعه. فسكن الشام ولما ولي يزيد ابن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة علي من فيها.

من بني أمية فأجلوهم إلي الشام ، وكان فيهم مروان. وتولي الحُكم معاوية ابن يزيد . ثم أعتزل الخلافة ، وكان مروان قد أسنّ فرحل إلي الجابية (في شمال حوران ) ودعا إلي نفسه ، فبايعه أهل الأردن (سنة 64هـ ) ودخلا الشام فأحسن تدبيرها وخرج إلي مصر وقد فشت من أهلها البيعة لابن الزبير فصالحوا مروان ، فولي عليهم أبنه عبد الملك وعاد الي دمشق فلم يطل أمره ، وتوفي فيها بالطاعون، وقيل غطته زوجته (أم خالد) بوسادة وهو نائم ، فقتلته ومدة حكمه تسعة أشهر و18 يوما وهو اول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها(قل هو الله أحد) جاء في كتاب البدء والتاريخ أنه أول من أخذ الخلافة بالسيف وفيه قصة موته خنقا .

وكان مروان كاتب السر لعثمان ، وبسببه جري علي عثمان ما جري و يقال له ابن الطريد لأن النبي (صلي الله عليه وسلم) طرد أباه الحكم إلي الطائف، لأنه كان يغمز عليه ويفشي سره ، فلم يزل في الطائف إلي أيام عثمان فرده إلي المدينة وكان ذلك مما نقم علي عثمان .

## الحجاج الثقفي سفاح من اكتشاف المروانيين

عبد الملك ابن مروان عند توليه الحكم أستعمل الحجاج ابن يوسف الثقفي علي حرب عبد الله بن الزبير في مكة فقتله الحجاج، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق. والثورة قائمة فيه فقمع الثورة وثبتت له الأمانة عشرين سنة .

الحجاج ابن يوسف الثقفي ولد بالطائف ونشأ فيها وانتقل إلي الشام وبين الطائف والشام توطدت علاقته مع آل مروان حتي قلده عبد الملك أمر عسكره ، وقتل عبد الله ابن الزبير وكان سفاحا وسفاكا باتفاق معظم المؤرخين (انظر معجم البلدان) وهكذا كان الثلاثي السفاحين هم أعمدة الحكم الأموي والمرواني أولهم عبید الله ابن زياد ثم مروان ابن الحكم ابن ابي العاصي (الطريد) .

ثم الحجاج ابن يوسف الثقفي احد أشهر السفاحين في تاريخ الإسلام وهكذا تأسست إمبراطورية الطغیان الأموي وهي تشتطر العبودية ليزيد وليس لله ولا تقبل البيعة علي القرآن والسنة .

ونلاحظ أن العائلة المروانية كانت هي خاتمة الخلافة الأموية من مجموعة من الخلفاء الذين لا وزن لهم ولا قيمة فيما عدا عمر ابن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين والذي حاول إقامة العدل وتغول بني أمية علي الأموال والحقوق، والتزم بالتقشف والورع، وسمح برواية الحديث النبوي وكان محظورا ، كما أوقف سب علي بن ابي طالب علي المنابر كما جرت عادة الأمويين .

وتوالي آل مروان علي الحكم حتي وصل إلي مروان بن محمد الجعدي الشهير بمروان(الحمار) آخر خلفاء بني أمية من العائلة المروانية من أحفاد الطريد الحكم بن ابي العاص. الذي طرده الرسول (صلي الله عليه وسلم) من المدينة المنورة وكانت عودته إليها سببا لإحتدام الثورة ضد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وكان مروان بن الحكم أول من أسس ما يمكن تسميته بالدولة العميقة .

لهذا نتحدث عن الدولة العميقة حيث ظهرت أثارها واضحة في الثورة علي عثمان بن عفان في المدينة المنورة وفي وصول المروانيين احفاد الطريد الحکم بن العاص إلي حُكم الإمبراطورية الأموية .

وفي الأخير وصل الخليفة المقتدر وأولاده إلى حكم الأمبراطورية العباسية في فترة طغت فيها سلطة الجواري والغلمان وتحللت مؤسسة الخلافة أخلاقياً ودينياً إلى مدى غير معقول.

## الحكم بن ابي العاص أول من أسس الدولة العميقة في الإسلام

فأسقط الدولة الأموية والخلافة الراشدة. ثم تولى هو الخلافة. محققا أخطر إنجازات حققتها أي دولة عميقة في تاريخ المسلمين.

عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله (إذا رأيت أمّتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم) رواه الحاكم في المستدرک .

الخطورة في عدم الوقوف في وجه الظالم هي ان تعتاد الأمة علي الظلم وتقبله في حالة دائمة وبالتدرج يتحول إلي نظام حكم له عقائد ممتزجة بالدين ويتولي الحاكم الظالم عملية التشريع وهنا تحدث الطامة الكبرى بالخروج الجماعي عن الدين إلي الشرك .

فيصبح الحاكم وجهازه الديني هو المشرع ومصدر القوانين التي لا تخدم سوي مصلحة الحاكم الظالم والطبقة التي حوله وتلك أعلي درجات الظلم . قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

الظلم عندما يتطور إلي هذه الدرجة وتترسخ جذوره جيلا بعد جيل يتحول إلي دين، فيتقبله الناس ويفتدونه بحياتهم.

ولكن بدلا عن السماء هناك قصر الحاكم أو السلطان أو الخليفة فيصبح مقر القدسية التي يشعر المواطن المسلم أمامها بالدونية والقهر والعجز والتسليم المطلق بمشيئة الحاكم ونظامه، ومحاربة من يعارض ذلك .

فيتحول الشعب من مجرد متلقي للشرك الجديد إلي مدافع عنه وليس مجرد خاضع له، وقابل لوجوده .

وكأننا نصف الوضع القائم الآن في العالم العربي والإسلامي بشكل عام إذا يري الناس الباطل حقا والحق باطلا . والصدق كذبا والكذب صدقا ، والمعصية طاعة، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويخون الأمين ويؤتمن الخائن.. أي تنقلب المعايير رأسا على عقب.

حتي رأينا مؤرخنا المقريزي يصف التوتر القائم بين الفلاحين وسلطان مصر بأن الفلاحيين قد تجاوزوا علي السلطان !! . وطمعوا في الحكم !!.

يبدأ الانحراف عادة بشكل بسيط ثم يتوطد وتقوي جذوره حتي يصير نظام حكم عقيدة ويصبح الظلم دينا جديدا أو جزء من الدين الأول الذي كان يعتقدون به؟ وأن كل ما ياتي به الحاكم من قول أو فعل مأخوذ عن شرائع الإسلام الحقيقية وما سوي ذلك كفر .

نبدأ بمرور خاطف على خلفاء العهد الأموي. فأمره مفهوم منذ بداية البحث.

## من خلفاء بني أمية وبني مروان

### مروان بن الحكم

مؤسس الأسرة المروانية . والده هو " الطريد" الحكم بن أبي العاص الذي غضب عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فطرده نهائيا من المدينة. ودبر مروان فتنه مقتل الخليفة عثمان والحروب ضد الخليفة علي رضي الله عنه واستقرار الحكم لبني أمية. ثم قفز إلي الخلافة بعد تخلي معاوية بن يزيد عن الحكم . مروان قتل بيد زوجته أم خالد التي خنقته بوسادة أثناء نومه (حسب أحد الروايات عن موته). وربما منحناها بعض العذر إذا علمنا أن مروان كان يطلق عليه لقب " خيال باطل" لطول قامته واضطراب خلقه. (ص 111-ج1 السلوك).

## هشام بن عبد الملك بن مروان

### 700 جمل لحمل ثيابه المستخدمة

هشام ابن عبد الملك بن مروان (حكم تسع عشر سنة وتسعة أشهر) من أشهر أحداث زمنه هو خروج زيد ابن علي ابن الحسين سنة 120هـ ومعه أربعة عشر ألف من أهل الكوفة ، فوجه اليه هشام من قتلة. ويقال أنه في عهده نشبت حرب هائلة فيما وراء النهر انتهت بمقتل خاقان الترك واستيلاء العرب علي بعض بلاده .

وأجتمع في خزائن هشام من المال مالم يجتمع في خزائن أحد من ملوك بني أمية في الشام .

ومن مآثره أنه اتخذ طرازاً له قدر (أي بارع) واستكثر منه (صنع الثياب) حتي كان يحمل ما أثر فيه من طرازه علي سبعمائة جمل. فهذه ثيابه التي لبسها ، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه محاسنة لدي المؤرخين بما فيهم ابن الأثير . كان حسن السياسة، ويقظاً في أمره ، يباشر العمال بنفسه، أنظر ابن الأثير والطبري واليعقوبي .

## الخليفة يزيد بن عبد الملك

### بداية حكم الجواري : حَبَابَةٌ.. تَعَيَّن وتَعزل

1- يزيد ابن عبد الملك بن مروان من 71 هـ -105 هـ تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز 101هـ وكان أبيض الجسم مدور الوجه ، مليحه ، فيه مرؤة كاملة مع إفراط في الانصراف إلي اللذات ، مات في إربد أو الجولان بعد موت قينة (جارية) له أسماها حبابة بأيام قليلة ، وحمل علي أعناق الرجال إلي دمشق فدفن فيها وكان لحبابة هذه أثر (نفوذ) في أحكام التولية والعزل علي عهده .(ص113- ج1 السلوك).

وقام من بعده ابنه يزيد. ويعرف بيزيد الناقص وولي لمدة سنة وثلاثة أشهر ، وقبيل شهرين واثنين وعشرين يوماً ، وفي أيامه اضطربت الدولة .

النهاية الأموية / والبداية العباسية

## الحمار أضاع حكم بني أمية

### مروان الحمار

انتهي حكم بني أمية وكان آخر خلفائهم هو مروان بن محمد مروان ابن الحكم وشهرته في كتب التاريخ "مروان الحمار" أو الجعدي ( ص 115-ج1 السلوك).

قال مؤرخو السلطات أن سبب وصفة بالحمار أنه كان شجاعاً للغاية ولا يخاف.

ولكن مسيرة الأحداث تبرهن على فساد ذلك التأويل الأموي. لأن مُلك بني أمية ضاع من بين يديه رغم تحذيرات واضحة من أمويين عقلاء فقد أثبت مروان أنه حمار بفعل الغباء وليس بفعل الشجاعة.

اقرأ مثلاً تحذير هذا الشاعر الأموي الحصيف :

ويوشك أن يكون له ضرام

أرى تحت الرماد وميض نار

فإن النار بالعودين تركزى  
فإن لم يطفها عقلاء قوم  
وأن الحرب أولها الكلام  
يكون وقودها جثث وهام  
أيقاظ أمية أم نيام؟؟  
فقلت من التعجب ليت شعري

### بسبب الإفراط سقطت الهرقلية الأموية ومن بعدها الهرقلية العباسية

نعم .. كان "حمار بنى أمية" نائما بتأثير إفراطه في الشجاعة.

ومن بعده بقرون سقطت الهرقلية العباسية بسبب إفراط الخليفة المستعصم في الترفيه مع الجواري والمغنيات وقد صرف الجنود من الخدمة كي يوفر ميزانية الجيش ويضمها إلى ميزانية الترفيه. بدأ حكم بنى أمية على يد مروان بن الحكم (خيال باطل) وانتهى بمروان الحمار فما بدأ بالباطل ينتهي بالحمار.

### نسوان الدولة العميقة في البيزنطية العباسية : "الخلافة الفاشلة"

القهرماننة تُمل أسست أكبر حكومة عميقة داخل الإمبراطورية العباسية  
الخيزران أم الرشيد أسست لحكم النسوان حتى ضاعت الإمبراطورية

وقامت من بعد مروان الحمار دولة بني العباس ابن عبد المطلب ابن هاشم ابن عبد مناف مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشر أشهر وأيام ، فيها إفتقرت كلمة الإسلام ، وسقط اسم العرب من الديوان ، وأدخل الأتراك في الديوان واستولت عليها الديلم ثم الأتراك ، وصارت لهم دول عظيمة جدا وانقسمت ممالك الأرض (الإسلامية) عدة أقسام ، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر . (ص 116-ج 1 السلوك).

### السفاح العباسي ينتزع الراية من الحمار الأموي.

السفاح أول الخلفاء العباسيين تتبع بقايا الأمويين **بالقتل والصلب والإحراق** حتى لم يبق منهم أحد غير الأطفال والجالين إلي الأندلس ولُقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم. اختتم الأمويون حكمهم بالحمار . وبدأ العباسيون حكمهم بالسفاح.

وفي ذلك إيجاز بليغ لما كانت عليه الإمبراطوريات الهرقلية (الوراثية المتعسفة) والتي تسترت زورا باسم الخلافة الإسلامية . فلم يكونوا خلفاء لرسول الإسلام بل عصوه على طول الخط.. فكان معظمهم نماذج للفساد والقسوة وأبعد الناس عن سيرته..

وكان أول من قام من خلفاء بني العباس **السفاح** وأسمه عبد الله ابن محمد ابن علي عبد الله ابن عباس ، مدة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم ، وكان سريعا إلي سفك الدماء ، سفك ألف دم فاتبعه عماله في الشرق والغرب في فعله.

وقام بدعوته أبو مسلم الخراساني مقوِّض الدولة الأموية، فبويع له بالخلافة جهرا في الكوفة سنة 132هـ وصفا له الملك بعد قتل مروان الحمار (آخر ملوك الأمويين في الشام) وكافئ أبا مسلم بأن ولاه خراسان وكان شديد العقوبة، عظيم الانتقام. وهو أول من أحدث الوزارة في الإسلام.

## ال خليفة المقتدر:

### ظاهرة كارثية لم يدرسها أحد

ولنذكر الخليفة العباسي المقتدر لأن مثاله أوضح في لحظتنا الحالية وفي أيامه أنقطع الحج وتوقف الناس عن الذهاب إلي بيت الله الحرام وكثر الهزل والمجون "الترفيه" في العاصمة بغداد وأرجاء الدولة .

وتعددت حركات الخروج على الدولة العباسية بدوافع مختلفة لها عامل مشترك هو المعاناة من ظلم الحاكم وانحرافه الذي طال جميع مناحي الحياة .

فظهرت ثورات عنيفة تمكنت من إقامة دول مستقلة مثل ثورات الديلم في اذربيجان وقزوين فأقاموا دولة البويهيين التي سيطرت على الخليفة ونظامه أداروا الدولة العباسية لحسابهم.

وظهرت الثورة الفاطمية في أفريقيا بقيادة عبد الله المهدي الذي دعى لنفسه كخليفة وقطع الدعوة لبنى العباس وتوسع حتي وصل إلي مصر والشام؟ ليكون تهديدا جدياً للخلافة العباسية .

وظهرت أيضا ثورة القرامطة واستمرت سنوات طويلة واستقلت وأصبح لهم دولة وقوة عسكرية كبيرة عجزت أمامها جيوش بغداد لسنوات. ولكنها وتمكنوا من الوصول إلي مكة واخذوا الحجر الأسود من الكعبة ونقلوه إلي مناطقهم في محاولة ساذجة وفاشلة لسحب الشرعية الدينية التي يحتمى بها العباسيون. وابقوه عندهم حوالي عشرين سنة!!"

ربما في إشارة منهم إلي الحجاج المسلمين أن الشرعية الدينية (الخلافة) لم تعد من حق العباسيين ونظامهم في بغداد. وأن القرامطة أولى حيث حصلوا على الحجر الأسود وعجز جيش الخليفة العباسي عن استرداده . لكن الرأي العام الإسلامي انقلب ضد القرامطة وخسروا ما كانوا حازوه من إعجاب بانتصاراتهم وبطولاتهم العسكرية رغم الفارق المادي الكبير بينهم وبين جيش الخلافة. وقف معهم الفقراء والمستضعفون، بسبب دعواهم إلي العدالة وتطبيق المساواة بين الجميع في توزيع المال . لكن الدعاية العباسية كانت كاسحة فدمرت سمعتهم تماما ونسبت إليهم فضائح لا يكاد يصدقها عقل، ولكن كالعادة تناقلها الناس حتى الآن حيث وجدت متسعا مريحا في كتب التاريخ الذي يكتبه المنتصر ولا ينصف المنهزم. بلا اعتبار أو تمييز بين الحق والباطل. على أنها حقائق لا تقبل الجدل. والغريب أن المقرئ في كتابه السلوك أكتفى بمجرد الإشارة من بعيد جدا إليهم كقوة خرجت على خلافة بغداد. ضمن العديد من حركات التمرد والثورات التي غالبا ماتتخذ لنفسها شعارا دينيا.

## ال خليفة المقتدر بالله جعفر

### القهرمانه تُملُ تحكم الخلافة العباسية

أما في بغداد فقد أنحط نظام الحكم إلي أسوأ ما يمكن أن يتصوره عاقل ان يكون موجودا في نظام يدعي الخلافة علي المسلمين فقد كان الحاكم الفعلي للدولة هو جاريه لدي الخليفة تدعي تُملُ (سُكُز) القهرمانة. مديره جواري القصر و الخدم والعبيد في القصر .

وبلغت سيطرتها علي الخليفة إلي درجة انها كانت تجلس للحكم في المظالم ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء!!.

وسقط قدر الخليفة حتي بين الجهاز الإداري التابع له (أصحاب الدواوين) "وغلّبوا عليه" ولم يجعلوا له أمر ينفذ. أي أنه غير قادر علي التحكم في موظفيه.

وفي الأخير ثارت عليه الجند وقاموا بالشغب وخرج اليهم وهو متشح بالبردة النبوية، فقتلوه وتلوّث البردة بالدم.

المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد تولى الخلافة وعمره ثلاث عشر سنة (ص122- ج1 السلوك) ولم يبلغ الحلم وهو أول من تولى الخلافة من الصبيان، فغلّبت علي أمره النساء والخصيان وأكثر من قتل الوزراء ومن تغييرهم ، فاضطربت عليه الأمور فلم يقيم غير أربعة أشهر ، وخلص بعبد الله ابن المعتز ثم قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة وأعيد المقتدر وخرجت القرامطة في أيامه ، وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة إلي بلادهم ، وخرج عليه أيضا الديلم ، وظهر عبيد الله المهدي بأفريقية ودعا لنفسه ، وقطع دعوة بني العباس من بلاد المغرب وبرقة.

ثم أن المقتدر خلع مرة ثانية ، وأقيم بدلة القاهر بالله محمد بن المعتضد ثم أعيد المقتدر ، وغلّب عليه أصحاب الدواوين ، ولم يجعلوا له أمرا ينفذ، وصارت تُملُ القهرمانة إحدي جواريه تجلس للمظالم ، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء ، وفي أيامه انقطع الحج ، وكثر الهزل والمجون ، وآخر أمره أنه قتل بعدما أقام في الخلافة أربع وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وقيل أحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما عندما خرج علي الجند وقد شغبوا وهو متشح بالبردة النبوية ، فقتل وتلوّث بالدم.

فقام من بعده القاهر بالله محمد ابن المعتضد ثم خلع وكحل بمسمار وقد حمي في النار مرتين ، حتي سالت عينيه بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام . وصل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع ويسأل الناس فيقول: يامعاشر الناس ، أنا بالأمس كنت خليفتمكم واليوم أسألكم ما في أيديكم ، فيتصدق عليه.

## الراضي بالله محمد ابن المقتدر

### إستيلاء الروم علي ثغور المسلمين

وقام من بعده في الخلافة الراضي بالله محمد ابن المقتدر (ربيب القهرمانة تُملُ ) . (ص123- ج1 السلوك)

وفي أيامه استولي الروم علي عامة الثغور.

وكان مغلوبا عليه مع مواليه لا يقدر علي شيء ومات بعد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام الخليفة الراضي هو آخر خليفة أنفرد بتدبير الجيوش والأموال وآخر بنى العباس وآخر خليفة خطب يوم الجمعة ، وآخر خليفة كانت نفقته وحوائزه ، وعطاياه وخدمه وجارياته وخزائنه ، ومطابخه وشرابه ، ومجالسه وحجابه وأموره جارية علي ترتيب الخلافة الأولى ، وآخر خليفة سافر بزّي الخلفاء القدماء ، وقد سافر بعده المتقي والطائع .

ثم قام من بعده أخوه المتقى بالله إبراهيم ابن المقتدر ، وكان خيرا عابدا وفي أيامه تغلب بنو حمدان علي الجزيرة والشام ، وكثر الاختلاف عليه فخلعه توزون التركي ، وكحله كما كحل القاهر، ثم حبسه مع القاهر وهما مكحولان.

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهرا ، ومات بعد خلعه بخمس وعشرين سنة . وقام من بعده لما خلع المتكى بالله عبد الله ابن المكتفى فاستولت الديلم علي البلاد ، ووقع الإختلاف عليه ، فقُبِضَ وَكُحِّلَ علي يد معز الدولة أحمد ابن بوبه .

فكانت أيامه سنة وأربعة أشهر ويومين (ص 129-ج1 السلوك).

## الفضل ابن المقتدر

### (استولى الفاطميون على مصر)

وأقيم من بعده المطيع لله الفضل ابن المقتدر(ربيب القهرمانه تُمَل)

فأقام تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر ، وليس له سوي الإسم والمدبر للأمور معز الدولة ، وقد فرض لنفقة المطيع في كل يوم مائتي دينار وفي أيامه قدمت عساكر المعز لدين الله ابى تميم معد الي مصر. وأقام المطيع إلي أن خلع نفسه.

**هامش :** المعز الفاطمي (360هـ)سعد (المعز لدين الله ) ابن إسماعيل (المنصور) ابن القاسم ابن المهدي عبید الله الفاطمي العبيدي، أبو تميم : صاحب مصر وأفريقية ، وأحد الخلفاء في هذه الدولة ولد بالمهدية وببيع له بالخلافة في المنصورية بعد وفاة أبيه 341هـ .

## إنقلاب في بغداد يحولها إلى ولاية فاطمية تابعة لمصر

البساسيري(قائد تركي متمرد من الدولة الغزنوية في أفغانستان بعد وفاة مؤسسها محمود الغزنوي فاتح الهند). ومعه عدد من الجنود " العُز " الأتراك الغزنويين، وكان مسيطرا على الأمور في بغداد. ونتيجة خشيته من انتقام السلاجقة في شرق الأناضول أنتمي إلي المستنصر بالله معد ابن الظاهر الفاطمي صاحب مصر ، فأمدته بالأموال حتي أخذ بغداد ، وقطع منها دعوة بني العباس ، وخطب للمستنصر بها نحو سنة ، والقائم محبوس (خليفة سابق حبسه السلاجقة) .

ثم قدم طغرلبيك (ملك السلاجقة) وأعاد القائم إلي الخلافة وقتل البساسيري ، وتحكم في سائر الأمور.(تحولت بغداد إلى ولاية سلجوقية).

**تعليق:** الخليفة كره قدم تنتقل من القهرمانه ثمل إلى البويهيين إلى الأتراك الغزنويين إلى الأتراك السلاجقة. فمن كان الحاكم الحقيقي للإمبراطورية العباسية؟؟

## المستظهر بالله أحمد

### وضاعت القدس من المسلمين

الخليفة المستظهر بالله أحمد أقام محكوما عليه (بدون سلطات) خمس وعشرين عاما ومات وفي أيامه أخذ الفرنجة بيت المقدس من المسلمين.

قال عنه ابن الأثير: كان المستظهر لين الجانب ، كريم الأخلاق ، يحب اصطناع الناس يتضح هنا تأثير الجوارى في تنشئة خلفاء بلا رجولة يسهل قيادهم على الجوارى والغلمان. يقول الأثير أنه كان يفعل الخير ولا يرد مكرمة تطلب منه .(بمايعنى خضوعة التام لأوامر الدولة العميقة التي كنت تسعى لضبياع . أوبيع . القدس للصليبيين.

وقال في أخلاقه السياسية : كان كثير الوثوق بمن يوليه وله توقيعات (أوامر إدارية) تدل علي فضل عزيز . وكانت خلافته 24 سنة و3 أشهر ومات ببغداد ودفن في حجرة كان يألفها

## المستضيء بأمر الله الحسن

### استعاد مصر من الفاطميين بواسطة صلاح الدين الأيوبي

وفي أيامه أعيدت الخطبة العباسية بالقاهر ومصر. (ص127-ج 1 السلوك).

وفي أيامه زالت الدولة العبيدية من مصر ، وضربت السكة باسمه ، وغلقت الأسواق وعملت القباب ، وكتب له ابن الجوزي "كتاب النصر علي مصر". وخطب له المشايخ بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة ، ودانت الملوك لطاعته ومات المستضيء بعد عشر سنين ، فقام من بعده ابنه الناصر لدين الله ، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوم ، ومات وأقام من بعده ابنه الظاهر بأمر الله محمد الذي لم يستفد كثيرا من عودة مصر إلى حظيرة بغداد، وبدلا من أن يزداد قوة بمصر سارع إلى دعوة التتار للقدوم واحتلال بغداد خشية من يأخذها الخوارميون "!!!!"

(بدون استشارة إبن العلقمي!!)

الخليفة الناصر لدين الله أحمد

يستدعي التتار لاحتلال بغداد !!

لبس سراويل الفتوة ، وحمل أهل الأمصار علي ذلك

ابن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف أول من أنشأ جهاز تجسس للخلافة (جهاز أمن الخلافة "جستابو" عباسي)

(ص341 - ج 1 كتاب السلوك للمقريزي)

قضي في الخلافة سبع وأربعين سنة غير ستة وثلاثين يوما ، وكانت أمه أم ولد ، يقال لها زمردة. قال عنه المقريزي: ( وكان شهما أبي النفس حازما متيقظا ، صاحب فكر صائب ودهاء ومكر وكان مهيبا ، وله أصحاب أخيار(جهاز أمن الخلافة) بالعراق وفي الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها ، فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته ، حتي أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع أمراته ، لما يظن أن ذلك يطلع عليه الخليفة فيعاقبه عليها - المقريزي - .

وعمل شخص وليمة ببغداد وغسل يده قبل أضيافة ، فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخياره فكتب الجواب (سؤ أدب من صاحب البلد ، وفضول من كاتب المطالعة). وقال المقريزي أيضا: [وكان ردئ السيرة في رعيته ، ظالما عسوبا ، حُرِبَ العراق في أيامه، وياشر الأمور بنفسه ، ويركب بين الناس ويجتمع بهم، مع سفكة للدماء ، وفعلة للأشياء المتضادة: فيغصب الأموال ويتصدق ، وشغف برمي الطير بالبندق ، وليس سراويل الفتوة ، وحمل أهل الأمصار علي ذلك (ص341 - ج 1 السلوك). (ربما كان الخليفة الغيور يخاف على شرف رعيته من عدوان التتر الذين يستدعيهم إلى بغداد).

وفي خلافة خَرَّبَ التتار بلاد الشرق حتي وصلوا إلي همذان وكان هو السبب في ذلك ، فإنه كتب اليهم بالعبور إلي البلاد، خوفا من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه لما هم بالإستيلاء علي بغداد وأن يجعلها دار ملكة ، كما أن السلجوقية (كانوا يريدون الإستيلاء علي بغداد أيضا).

ولم يمت الخليفة الناصر لدين الله حتي عمى، وقيل كان يبصر بإحدي عينيهِ .

**تعليق:** من الغرائب العباسية أن يطلب الخليفة من التتار احتلال عاصمة الخلافة ويأمر الرعية بالاحتشام ولبس سراويل الفتوة ذات القماش المتين ويتجسس على أدق تفاصيل حياتهم (ولا تجسسوا)!!.

وكان أولى بالخليفة أن يصدر أوامره معكوسة فيأمر المسلمين بالقدوم إلى بغداد للدفاع عن عاصمة الخلافة . وان يأمر التتار بلبس سراويل الفتوة على الأقل وهم في بغداد أو في حضرة الخليفة المحتشم.

مسار التتار صوب بغداد

المنتصر بالله أبو جعفر المنصور

اتخذ جنودا من التتار

وقام من بعد المستضيء أبنه المنتصر بالله أبو جعفر المنصور مدة سبع عشر سنة (ص 128 - ج 1 السلوك) وفي أيامه قصد التتار بغداد ، فاستخدم الخليفة منهم العساكر حتي بلغت عدتها مائة ألف .

## المستعصم بالله عبد الله

### (هولاكو يحكم بغداد)

وقام من بعد المنتصر بالله ابنه المستعصم بالله عبد الله ، فجمع الأموال وقطع كثيرا من العساكر ، فقدم التتار بغداد وقتلوه في سادس صفر سنة ستمائة ست وخمسين ، وله في الخلافة خمس عشر سنة وسبعة أشهر . وانقضت دولة بني العباس بزواله ، وصار الناس بغير خليفة إلي سنة وستمائة وتسع وخمسين. وكما جاء في ( ص 129) السلوك.

## الخليفة المستنصر بالله أحمد

### انتقال العرش العباسي من بغداد إلى القاهرة

فأقيم في تلك السنة خليفة بمصر قدم إليها من بغداد ، لقب بالمستنصر بالله أحمد ابن الظاهر ابن الناصر ، وسار يريد بغداد فحاربة التتار وقتلوه قبل أن تتم له سنة منذ بويح بمصر ، فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلا يسمونه خليفة ، ويلقبونه بلقب الخلفاء ، وليس له أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا كلمة.

### لماذا لم يدافع المسلمون عن الخلافة الأموية أو العباسية ؟

### ولماذا ثار المصريون من أجل الدول الفاطمية. منذ صلاح الدين إلى الأشرف قلاوون المملوكي؟؟.

كان غريباً رغم هالة القدسية الدينية التي أحاطت بمركز الخلافة والتي كانت دولتها تمتد إلي مساحات كبيرة وتمتلك ثروات هائلة إلا أنها عندما سقطت لم يهب أحد من الشعب لنجدها أو مطالباً بعودتها مرة أخرى ، فلا أحد طالب بعودة الأمويين ولا أحد طالب بعودة العباسيين ودولتهم التي استمرت خمسة قرون والتي روينا جانباً من سلبياتها في موضع آخر .

وأهالي بغداد لم يحرك أحد منهم ساكناً لحماية الخليفة المحاصر بقوات التتار ولو أن الأمر كان فيه فتنة طائفية لهب العراقيون عن بكرة أبيهم ولكنهم أمام حدث عظيم مثل أنهيار الخلافة العباسية العريقة كان أهالي بغداد يبحث كل منهم عن طريق للهرب والاختباء من سيوف التتار .

وبعد ذلك عندما اتفقا من الصدمة لم نسمع أنهم تحركوا من أجل إستعادة الخلافة الضائعة .

وحتى عندما استغاث بالمسلمين الخليفة العباسي المهدي وهو يحمل سيفه مدافعاً عن نفسه وجنود التتار يهاجمونه وهو ينادي : يامعشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتم فلم يجبه أحد..فمن منعهم من نجدة خليفتم؟ هل هو علقمي أم شيء آخر؟

وآخر خلفاء العباسيين المستنصر بالله تخلي عنه جنوده من العرب والترکمان حينما واجه التتار وتركوه حتي أصيب وأختفي .

فمنهم من يقول أنه قُتل ومنهم من يقول أنه أختفي عند بعض قبائل العرب.

هل يكفي ابن علقمي واحد يفعل ذلك كله، والأبشع منه، على امتداد قرون؟ متتالية؟.

أحد الأسباب هو أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا قرييين من الصورة ويعرفون مخازي الخلفاء في القصور وفضائحهم وجرائم أتباعهم في ظلم الناس.

فلم يكن أحد يتعاطف مع هذا النظام الفاسد الخاوي، حيث يقتل الخليفة ابنه ويقتل الولد أباه ويعزل أخواه من الحكم .

كيف يتعاطف المسلمون مع مؤسسة الحكم التي يتحكم بها الغلمان والجواري حتي صارت جارية الخليفة العباسي المقتدر "قهرمانه" تجلس للمظالم ويحضرها الفقهاء والعلماء والقضاة والوزراء ولا ينطقون بشئ . والقادة العسكريين الأتراك يقتلون خليفة ويسجنون آخر ويكحلون ثالث (يسملون عينيه) .

الخلافة العباسية التي قال عنها المؤرخون أن الخلفاء فيها قدموا الخدم ورفعوا منازلهم. فما هو سبب سقوط دولتهم؟ . غير ابن العلقمي طبعاً؟ . هل توجد أسباب أخرى؟ . فإذا لم نعرف سبب الضعف والانحلال فكيف نتفادى تكراره مستقبلاً؟؟.

فالأمين بن هارون الرشيد شغف بالغلما ن والخدم فقربهم ورفع شأنهم واتخذت له أمه (وهي زبيدة أقرب النساء وارفعهم منزلة لدى أمير المؤمنين الرشيد) اتخذت زبيدة الجواري الغلاميات لأبناها الأمين (الخليفة القادم لحكم أمة الإسلام).

تلك هي الخلافة الإسلامية التي قتلوا من أجل الحصول عليها الآلاف من الناس لكي تصبح هرقلية لا ضابط لها من شوري أو نص شرعي.

وهشام ابن عبد الملك في الدولة الأموية، التي قتلت الحسن والحسين أحفاد الرسول (صلي) ورموا الكعبة بالمنجنيق واستباحوا المدينة المنورة .

كان هشام هذا من أغني خلفاء ابي أمية وكانت ثبابه المطرزة التي يستخدمها تحمل علي سبعمائة جمل .

لهذا لم يدافع عنهم المسلمون عندما سقطوا ولم يطالبوا بعودتهم إلي الحكم مرة أخرى عندما زالت دولهم .

## لمذا قاتل المصريين من أجل إعادة الدولة الفاطمية؟؟

ولكن المفارقة الكبرى تأتي عندما نري الشعب المصري يخرج عدة مرات في انتفاضات ليطالب بعودة الخلافة الفاطمية .

وخاض معارك مع السلطة الأيوبية ثم المملوكية في بداية دولتهم وأوسطها وتكبد خسائر فادحة في الأرواح والأموال والأعراض علي يد تلك الممالك الإسلامية .

لم يكن السبب في ثورة المصريين أنهم ذوى طبيعة حادة أو مزاج ثوري فالجميع يعلم قديما و حديثا أنه شعب مسالم ولا شأن له بالثورة أو الحرب فلماذا رفع المصريون السلاح مطالبين بعودة الخلافة الفاطمية .

رغم أن المصريين لم يكونوا شيعة فالشيعة بين المصريين كانوا أقلية للغاية ولكن الحكم الفاطمي منح المصريين ما كان يفتقدونه منذ بداية تاريخهم حتي الآن وهو العدالة والكرامة والمساواة والأمن .

تلك القيم الغالية رأها المصريون أهم من طبيعتهم السلمية فثاروا للدفاع عن تلك القيم وليس عن الدولة الفاطمية في حد ذاتها .

ما دفع المصريون للثورة علي الأيوبيين والمماليك دفعهم في عصور متأخرة في بداية القرن التاسع عشر .

عندما تمادي الأتراك في مظالمهم متعاونين مع بقايا المماليك الذي أوكل اليهم الخليفة التركي إدارة الأمور الداخلية لمصر .

في تلك الفترة الحرجة ظهر بين المصريين قيادة دينية تاريخية وهو السيد عمر مكرم وهو عالم أزهري من الأشراف، وكان حوله عدد من علماء الأزهر الشرفاء فخرج الشعب في مظاهرات وأقوفوا العمل في العاصمة، مطالبين برحيل الحاكم التركي (خورشيد باشا) هاتفين في الشوارع بشعار ثورتهم في ذلك الوقت (يارب يامتجلي إهلك العثماني) .

فاضطر خورشيد باشا للرحيل عن مصر حتي لا تنحدر الأمور إلي ما هو أسوأ واستطاع محمد علي خداع قادة الثورة البسطاء والاستيلاء عليها فتولى حكم مصر وقصته مشهورة .

### في الكتيب الثالث :

- العباسة وأخوها الرشيد ومذبحة البرامكة.
- نهاية الطولونية في مصر.
- آل سعود وابن عبد الوهاب نسخة بريطانية لتجربة قبائل المرتدين ومسيلمة الكذاب.
- الزمالة الأموية البيزنطية على الأساس الإمبراطوري.

وسلامة الجميع بإذن الله..

نشر في تاريخ 2024/07/09

موقع مافا السياسي

WWW.MAFA.WORLD

